الفصل الثاني
العلاقات السياسية لإمارة بنى مزيد

- علاقات بني مزيد بالخلافة العباسية.
- بنو مزيد وبنو بوية .
- فتنة البساسيرى واتصال بني مزيد بالخلافة الفاطمية.
- علاقات بنى مزيد بالسلاجقة.
- بنو مزيد والقبائل العربية.

تعد العلاقات السياسية لأي كيان سياسي دلالة واضحة على مدى ما يتمتع به هذا الكيان من نفوذ و تأثير في القوى التي يتصل بها، ولعل هذا الأمر هو ما ميز إمارة بنى مزيد، التي استطاعت تكوين شبكة واسعة من العلاقات المتبادلة مع القوى المعاصرة لها. ورغم تداخل وتشابك هذه العلاقات إلا أن دراسة كل منها منفرد أمر من الأهمية بمكان؛ حتى تتجلى لنا مميزات تلك الاتصالات والأسس التي قامت عليها، ومدي تأثيرها في إمارة بنى مزيد.

علاقات بنى مزيد بالخلافة العباسية:

رغم أن إمارة بني مزيد قد أصبحت أمراً واقعاً في مطلع القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، إلا أن المصادر قد ضنت علينا بذكر أي اتصال مباشر بين بنى مزيد والخلافة العباسية حتى قرابة منتصف هذا القرن، ولكن هذا لا يمنع وجود صلات وعلاقات متبادلة بين الطرفين، وإن كانت في نطاق ضيق لم يلفت نظر المؤرخين.

وذُكر أول اتصال مباشر بين الخلافة العباسية و إمارة بنى مزيد عام (٤٤٣هـ/١٠٥١م) ففي هذا العام قطع الأمير "دبيس الأول" - ثاني أمراء بنى مزيد الخطبة في بلاده للخليفة العباسي القائم بأمر الله [١] ويرجع ذلك إلى تعرض مشهد الإمام موسى الكاظم[٢] و ضريح حفيده محمد بن على للحريق في فتنة بين السنة و الشيعة[٣]، فلم يجد دبيس ما يرد به على الحادث، سوى قطع الخطبة للخليفة العباسي احتجاجاً على ما جرى، و لم يملك الخليفة حيال ذلك سوى معاتبة دبيس، الذي اعتذر

---

(١) الخليفة القائم بأمر الله: هو أبو جعفر عبد الله بن القادر، ولى الخلافة سنة (٤٢٢هـ/١٠٣٠م)، عاصر أكبر المحن التي تعرضت لها الخلافة العباسية و هي فتنة البساسيرى،توفي عام (٤٦٧هـ/١٠٧٤م) (السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص ص ٤١٧، ٤١٨).

(٢) عن الإمام موسى الكاظم، راجع الفصل الأول، ص ١٩، حاشية ١.

(٣) من أكبر المشاكل التي تعرضت لها الخلافة العباسية في عصر التغلب البويهي تلك الصراعات التي اشتعلت نارها بين السنة والشيعة، خاصة في ظل الوجود البويهي الذي ساعد على ارتفاع صوت الشيعة ومنحهم الفرصة للاحتفال بأعيادهم الخاصة دون مراعاة مشاعر الأغلبية السنية خاصة في بغداد وهو ما فتح باب الصراع بين الطرفين طوال مدة الوجود البويهي (ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٧، جـ ٨؛ ابن الأثير الكامل، جـ ٨، جـ ٩).

إليه مبرراً تصرفه برغبته في تسكين خواطر جمهور إمارته الثائر بسبب رد فعل الخليفة السلبي الذي لم يكلف نفسه عناء الاستنكار الحادث. و لم يستمر دبيس طويلاً في قطع الخطبة للخليفة العباسي لكن سرعان ما أعادها بعد أن حقق غرضه من إشعار الخليفة بوجود الشيعة وأنهم قوة لا يستهان بها[١]. ورغم أن هذه هي أول مرة تذكر فيها المصادر العربية الدعاء للخليفة العباسي على منابر بنى مزيد، إلا أنها تدل على وجود الدعوة للخليفة منذ وقت مبكر من تاريخ الإمارة، قد تسبق الاعتراف الرسمي بوجود الإمارة، خاصة أن بنى مزيد يستمدون شرعيتهم من هذا الاعتراف.

وقد أدركت الخلافة العباسية قدر ما يتمتع به بنو مزيد من القوة والمنعة، لذلك طلب الخليفة القائم من الأمير "دبيس الأول" أن يشارك في الدفاع عن بغداد عام (٤٥٠هـ/١٠٥٨م) خوفاً من مهاجمة أرسلان البساسيرى لها، في وقت شغل فيه السلطان السلجوقى طغرلبك بالقضاء على فتنة أخيه إبراهيم ينال، و مع تصاعد خطر البساسيرى عرض الأمير دبيس على الخليفة أن يسير معه إلى إمارته، حتى يكون في مأمن من هجوم البساسيرى، إلا أن الخليفة القائم بأمر الله، تردد في قبول ذلك العرض؛ مما دفع دبيس إلى العودة إلى بلاده [٢].

ورغم خضوع العراق للسلاجقة إلا أن مكانة الأمير "دبيس الأول" لم تتراجع؛ مما شجع الخليفة القائم إلى دعوة دبيس للمشاركة في الدفاع عن بغداد تحسباً لأعمال السلب والنهب التي يمكن أن يقوم بها الجند في الفترة الانتقالية بين وفاة السلطان طغرلبك و تولى السلطان السلجوقى الجديد[٣].

---

(١) ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٨، ص ١٤٩؛ ابن الأثير: الكامل، جـ ٩، ص ٥٧٧؛ ابن كثير، البداية و النهاية، جـ ٦، ص ٥٣٣؛ ابن خلدون: العبر، جـ٣، ص ٤٥٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل، جـ ٩، ص ٦٤٠، ٦٤١؛ دائرة المعارف الإسلامية، جـ ٧، ص ٢١٠.

(٣)ابن الأثير: الكامل، جـ ١٠، ص ٢٧؛ عبد المجيد أبو الفتوح: علاقات بنى مزيد، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، مايو ١٩٨٧، ص ٢١٣؛ (توفي السلطان طغرلبك عام (٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م) دون ترك وريث أو ولى للعهد مما سبب إثارة الخلافات بين أفراد الأسرة السلجوقية طمعاً في منصب السلطنة، مما أثار حالة من اضطراب الأمن، وكان أبرز المتنافسين على العرش ألب أرسلان بن جغرى – أحد أخوة طغرلبك – و سليمان بن جغرى وكانت أمه زوجة طغرلبك فاعتبر نفسه ولى العهد الشرعي، وأعلن كل منهما نفسه سلطاناً، إلا أن النزاع حسم لصالح السلطان ألب أرسلان (الأصفهانى: تاريخ دولة آل سلجوق،

وتقديراً من الخلفية لمكانة الأمير دبيس خرج الوزير ابن جهير[١] لاستقباله، و قد كان دبيس عند حسن الظن به، فقد أسهم بدر كبير في كسر عادية مسلم بن قريش العقيلى[٢] الذي استغل فرصة انشغال جند السلاجقة بوفاة سلطانهم، وقام بأعمال نهب واسعة في ضواحي بغداد مما حتم استخدام القوة لإعادته إلى صوابه[٣].

وقد ساعدت أعمال الأمير دبيس الأول على رفع قدره لدى الخليفة، الذي لم يجد بد من قبول شفاعته في الوزير ابن جهير الذي فر إلى دبيس عام (٤٦٠هـ/١٠٨٦م) بسبب خلاف بينه وبين الخليفة القائم بأمر الله، وقد تشفع دبيس في الوزير فعفي عنه الخليفة وأعاده إلى منصبه في العام التالي[٤].

واستمرت العلاقات الطيبة بين بنى مزيد والخلافة في عهد الأمير منصور بن دبيس (٤٧٤-٤٧٩هـ/١٠٨١-١٠٨٦م) وهو ما جعل الخليفة المستظهر بالله[٥] فور وفاة الأمير منصور يسارع بإرسال الخلع والتقليد إلى ولده وولى عهده الأمير " صدقة الثاني"، الذي سار على سيرة أسلافه في كسب ود الخلفاء العباسيين سعياً لتثبيت أقدام بنى مزيد و توطيد سيادتهم[٦].

ص.٣٠ ؛ عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران و العراق، ص ٥٤).

(١) الوزير ابن جهير: هو فخر الدولة محمد بن أحمد بن جهير، وزير الخليفة القائم بأمر الله، بدأ حياته فقيراً ثم تبسم له الزمان و ترقى به الحال و نال حظ من الثراء، و عمل وزيراً لنصر الدولة بن =مروان، ثم وزيراً للخليفة القائم بأمر الله (ابن الطقطقا: الفخري، ص ٣٩٣، ٣٩٤؛ خواندمير: دستور الوزراء، ترجمة د. حربي أمين سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠، ص١٩٦).

(٢) مسلم بن قريش العقيلى: تولى حكم إمارة بنى عقيل في الفترة من (٤٥٣هـ/١٠٦١م) واتسعت أملاكه حتى شملت ديار بكر والموصل وديار ربيعه ومضر و الجزيرة وحلب (خاشع المعاضيدى: دولة بنى عقيل، ص ٥٩).

(٣) ابن الأثير: الكامل، جـ ١٠، ص ٢٧.

(٤) ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٨، ص ٢٣١؛ ابن الأثير: الكامل، جـ ١٠، ص ٥٧.

(٥) الخليفة المستظهر بالله: هو أبو العباس أحمد بن المقتدى، تولى الخلافة عام (٤٨٧هـ/٥١٢م)، و في عهده تعرض العالم الإسلامي للعديد من الخطوب والمحن أشهرها بدء الهجوم الصليبي على قلب الإسلام والعروبة، كما ظهر الحسن الصباح واتخذ من قواعده في ألموت منطلقاً لأعمال الاغتيالات وتهديد القوى الإسلامية،وتوفي الخليفة المستظهر عام (٥١٢هـ/١١١٨م) (ابن طباطبا: الفخري، ص ٣٠٠؛ السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص ص ٤٢٦ – ٤٢٨).

(٦) ابن كثير: البداية النهاية، جـ ٦، ص ١١٨.

وفي ظل هذه العلاقات الطيبة قدم الأمير صدقة الأول العديد من الخدمات للخليفة المستظهر، منها دوره في إطفاء نار الفتنة التي اندلعت عام (٤٨٢هـ/١٠٨٩م) بين السنة والشيعة بسبب الخلافات المذهبية بينهما، وقد عجز جند الخلافة عن القضاء على هذه الفتنة؛ لكن صدقة بفضل نفوذه الأدبي على شيعة بغداد، استطاع إعادة الهدوء والسكينة إلي المدينة[١].

وتقديراً من الخليفة المستظهر بالله لشخصية الأمير " صدقة الأول "وتعبيراً عن شكره للخدمات الجليلة التي يؤديها إلى مقام الخلافة، منحه داراً في بغداد[٢] و قد صارت هذه الدار ملجأً لكل خائف في ظل تمسك الأمير صدقة بعادة الجوار العربية، وهو الأمر الذي حدا بالبعض إلى تشبيه هذه الدار بِدور السفارات في عصرنا الحالي، التي توجد في عواصم البلاد للدول الأخرى، ويمكن أن يلجأ إليها الخائفون من نفوذ دولهم نتيجة للنشاط السياسي الغير مرغوب فيه، فيما يعرف بظاهرة اللجوء السياسي[٣].

ولم يتوقف تقدير الخلافة للأمير " صدقة الأول عند حد منحه داراً في بغداد بل تعدى الأمر إلى أكثر من ذلك بمنحه لقب " ملك العرب "[٤] ومن الواضح أن هذا اللقب لم يأت لمجرد خدمات الأمير صدقة للخلافة بدليل أن هناك دويلات أخرى معاصرة قدمت خدمات للخلافة مثل إمارة بنى عقيل، ومع ذلك لم يمنح هذا اللقب لأحد أمرائها. ويرجح أن دافع الخلافة إلى هذا الأمر هو رغبة الخليفة في توطيد النفوذ العربي الذي ضاع منذ زمن طويل، في ظل ضياع هيبتها نتيجة تغلب العناصر الغير عربية عليها من الفرس والترك والديلم والغز، خاصة أن بنى مزيد رغم اختلافهم عن العباسيين في المذهب، إلا أنهم لم يجعلوه عقبة في طريق تفاهمهم مع العباسيين. وربما يكون منح هذا اللقب من قبيل تطلع الخلافة إلى إظهار قدرتها على منح الألقاب والخلع دون الرجوع إلى السلاجقة المتغلبين عليهم، ولعل ما يرجح الفرض الثاني ما بذله

---

(١) ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٩، ص ٤٨.

(٢) نفسه، ص ١٥٩؛ أبى البقاء: المناقب المزيدية، جـ ٢، ص ٤٨٦.

(٣) عبد المجيد أبو الفتوح: علاقات بنى مزيد، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، ص ٢١٤.

(٤) ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٩، ص ١٣٢.

الخليفة المسترشد بالله لاستعادة شوكة الخلافة من جديد[١].

وفي ظل العلاقات الودية بين صدقة والخليفة المستظهر تجلت المساعي الجدية من قبل الخلافة لنزع فتيل الأزمة التي احتدمت بين الأمير صدقة الأول والسلطان محمد بن ملكشاه بسبب مطامع الأمير صدقة التوسعية ومساعي الناقمين عليه لدى السلطان، ورغم فشل هذه الجهود ومصرع صدقة عام (٥٠١هـ/١١٠٧م)[٢] إلا أنها لا تدع مجالاً للشك في حرص الخلافة على بقاء قوة بنى مزيد عوناً لها في الأزمات.

وهكذا تشكلت العلاقات بين بنى مزيد و الخلافة العباسية منذ فجر الإمارة وحتى مصرع صدقة الأول (٤٠٣ - ٥٠١هـ / ١٠١٢ – ١١٠٧م) ولعل الأساس الذي قامت عليه هذه العلاقات يتضح لنا أنه يقوم على مبدأ عدم الصدام مع الخلافة والدعاء للخليفة على منابر الإمارة دون جعل الخلاف المذهبي عقبة في طريق هذه العلاقات؛ ذلك أن وجود الإمارة الشيعية يستند إلى شرعية الاعتراف بها من قبل الخلافة السنية، ولعلنا نلمس تأثر بنى مزيد والشيعة الإمامية، بإخوانهم الشيعة الزيدية القائلين "بإمامة المفضول مع وجود الأفضل "[٣] مع تغيير بسيط في هذه القاعدة " بإمامة المفضول لحين ظهور الأفضل" في ظل غيبة إمامهم المنتظر " محمد بن الحسن العسكري، ويحتمل ألا يكون هناك تأثر مذهبي في هذا الأمر بل هو أمر سياسي بحت سعى به بنو مزيد إلى عدم الوقوف في طريق رياح الخلافة العباسية حتى لا تدمرها، مع تنحية أمر المذهب جانباً حتى تقوى وتشتد شوكة الإمارة أو يظهر خليفتهم المنتظر عندها يجهرون بعدم شرعية الخلافة العباسية. ومهما يكن من أمر فقد اعترفت الخلافة العباسية بوجود إمارة بنى مزيد، وتوثقت علاقاتهما لصالح الطرفين.

بنو مزيد وبني بويه:

---

(١) راجع الفصل الثالث، ص ١٣٦ ومابعدها .

(٢) ابن الأثير: الكامل، جـ ١٠، ص ٤٤١؛ النويرى: نهاية الأرب في فنون الأدب، جـ ٢٦، تحقيق فوزي العنتيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥، ص ٣٦٥؛ الصفدى: الوافي بالوفيات، جـ ١٦، شتوتجارت، بدون تاريخ، ص ٢٩٦؛ مسفر العريج: الجهاد ضد الصليبيين، دار المطبوعات الحديثة، الرياض، ١٩٨٩، ص ٧١.

(٣) الشهرستانى: الملل و النحل، ص ١٢٥.

لم يكن ظهور إمارة بنى مزيد على الساحة السياسية في العراق، إلا نتيجة طبيعية لضعف دولة بنى بوية التي كانت قد تغلبت على الخلافة العباسية. وقد ساعد على هذا الضعف ما ذكرناه سلفاً من أسباب خاصة بالصراعات المستمرة بين بنى بوية على السلطة، بالإضافة إلى فتن الجند المستمرة وما ترتب عليها من تدهور شامل لأحوال العراق، وهو الأمر الذي منح بنى مزيد الفرصة لتثبيت أقدامهم في منطقة جنوب الفرات في مطلع القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي وبالتحديد في عام (٤٠٣هـ/١٠١٢م) في ظل انشغال بنى بوية بمشاكلهم.

ويجدر بنا في هذا المقام أن ننوه إلى الخلاف المذهبي بين بنى مزيد وبنى بوية، فقد عرفنا أن بنى مزيد يتبعون المذهب الشيعي الإمامي الذي يؤمن بوجود أثنى عشر إماماً، وهم الإمام على بن أبى طالب ومن بعده الحسن ثم الحسين، ثم جعفر الصادق و موسى الكاظم و جعلوا الإمامة في أبنائه على الرضا ومشهده في طوس[١]، ثم محمد التقى و مشهده في بغداد وعلى بن محمد التقى ومشهده بقم[٢]، ثم الحسن العسكري ومشهده بجوار مشهد أبيه ومحمد بن الحسن العسكري وهو الغائب المنتظر، والشيعة الإمامية يقولون بإمامة على ابن أبى طالب – رضى الله عنه – نصاً وتعيناً، ثم تعدوا أمر أحقية الإمام على في الخلافة وطعنوا في إمامة من سبق على من الخلفاء على غير أساس[٣].

أما بنو بوية فيتبعون المذهب الشيعي الزيدي نسبة إلى زيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على – رضى الله عنهم – (٨٠-١٢٢هـ/٦٩٩-٧٣٩م)، وهم يسوقون الإمامة في أولاد فاطمة – رضى الله عنها – وأجازوا أن يكون كل فاطمي شجاع عالم سخي خرج بالإمامة، يكون إماماً تجب طاعته، وهم أقرب فرق الشيعة إلى أهل السنة

---

(١) طوس: إحدي مدن إقليم خراسان (ابو الفدا:تقويم البلدان، ص ٤٥١).

(٢) قم: إحدي مدن بلاد الجبل بينها وبين الري أحد وعشرين فرسخاً (أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٣١).

(٣) الشهرستانى: الملل و النحل، ص ١٣٢، ١٣٣؛ أحمد رمضان: الخلافة الإسلامية، ص ٢٣١؛ محمد حسين الطبطبائى: الشيعة في الإسلام، ص ٥٩؛ موقع على الانترنيت http://www.danafajrit.com/Maktaba/Maktaba_thakafy/alshia%2.fee%20al%.

ويأخذون بمبدأ " إمامة المفضول مع وجود الأفضل " ويعتقدون في صحة إمامة أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان – رضى الله عنهم – ولم يكفروا الصحابة[١].

كانت هذه باختصار آراء كلا المذهبين الشيعي الإمامي الاثنى عشري – مذهب بنى مزيد- والمذهب الشيعي الزيدي – مذهب بنى بوية-، والاختلاف بينهما واضح، فالإمامية الاثنى عشرية أكثر غلواً من الشيعة الزيدية، كما أن ثمة خلاف بينهما في أمر الخلافة، فالأمامية الاثنى عشرية تنتظر إمامها أن يعود و يعيد العدل إلى الأرض، أما الزيدية فلديهم كل من خرج من ولد الحسن والحسين وتميز بالعلم والشجاعة والسخاء وجهر بالدعوة لنفسه بالإمامة يكون إماماً. إذن كلا الفريقين لا يقران لبنى العباس حقهم في الخلافة، لكن الزيدية يجيزون إمامتهم لعدم ظهور الأفضل وإن كانوا قد فضلوا وجود المفضول العباسي حتي لا يضعف نفوذهم مع وجود الأفضل الذي تتجمع الناس حوله[٢]، أما بنو مزيد فقد اعترفوا ودعوا للخليفة العباسي مؤقتاً حتى يعود إمامهم المنتظر.

كما أن بنى بوية منذ مطلع القرن الخامس الهجري، وهم في صراع دائم على السلطة كما أوضحنا في الفصل الأول، وهو ما أضعف كلمتهم وفرق شملهم وجعلهم لقمة سائغة في أفواه السلاجقة[٣]. وبالرغم من اعتراف بنو بوية بوجود إمارة بنى مزيد، إلا أن ذلك لم يمنع الأمراء البويهيون من السعي المستمر للقضاء على الإمارة، أو على الأقل الحد من قوتها المتنامية، ومما ينهض دليلاً على ذلك موقف الوزير فخر الملك[٤] من الفتنة التي اندلعت عام (٤٠٥هـ/١٠١٤م) بين بنى مزيد وبين بنى عمومتهم بسبب سعى الأمير على بن مزيد للثأر لأخيه أبى الغنائم[٥] الذي قتل في

---

(١)الشهرستانى: الملل والنحل، ص ١٢٤، ١٢٥ ؛ أحمد رمضان: الخلافة الإسلامية، ١٢٤، ٢٢٥؛ الشبكة الإسلامية: الزيدية، موقع على الانترنيت بعنوان http:/islameeb.net/aqeda/agans_firaq/3.

(٢) ابن مسكويه: تجارب الأمم، جـ ٢، ص ٥٨٦؛ ابن الأثير: الكامل، جـ ٨، ص ٤٥٢ .

(٣) راجع الفصل الأول ص ٢٩ .

(٤) عن فخر الملك راجع الفصل الأول ص ٢٥ حاشية ٣.

(٥) أبو الغنائم بن مزيد: هو أحد أخوة الأمير على بن مزيد، قتل عام (٤٠٢هـ/١٠١١م) لقتله أحد بنى

معركة مع بنى دبيس بن عفيف الأسدي – سكان الحويزة[١] – الأمر الذي دفعه إلى الثأر منهم، فسار إليهم و هزمهم و تمكن من الاستيلاء على ما تحت أيديهم، وقد ساند البويهيون بنى دبيس في حربهم مع بنى مزيد، ومما يؤكد ذلك مجموعة رسائل موجهه من الوزير فخر الملك إلى بنى دبيس يحثهم فيها على القضاء على الأمير على بن مزيد واعداً إياهم بالمساعدة[٢]. وقد استغل الأمير علي بن مزيد مجموعة الرسائل التي حصل عليها في الضغط على الوزير فخر الملك ليحصل على تقليد رسمي بالجزيرة الدبيسية[٣] التي استولى عليها من يد بنى عمومتهم، ولم يملك الوزير سوي الموافقة على ذلك. لكن لم يبق بنى مزيد بالجزيرة الدبيسية طويلاً، إذ سرعان ما تمكن بنى دبيس بن عفيف من طردهم، فلم يجد الأمير دبيس بد من العودة إلى أملاكه في منطقة النيل[٤].

وقد حاول بنو بوية أن يتدخلوا في شئون الإمارة الداخلية، فعقب وفاة الأمير على بن مزيد عام (٤٠٨هـ/١٠١٧م) خلفه ابنه دبيس وكان أصغر أخوته سناً، فطمع أخوه المقلد بن على في الاستيلاء على الحكم، فسار إلى بغداد فأعانه البويهيون بالجند من الأتراك، وهاجم أخيه الأمير"دبيس بن على" قرب مدين النعمانية[٥]، وسرعان ما فر دبيس بسبب المفاجأة، لكنه لم يلبث أن جمع القوات واستعاد أملاكه من يد أخيه، الذي فر إلى بغداد ثانية[٦].

ولم يستمر بنو بوية طويلاً في سياستهم القائمة على تحجيم نفوذ دبيس بن مزيد،

عمومته من بنى دبيس بن عفيف الأسدي، وفراره إلى أخيه الأمير على بن مزيد الذي خرج لرد بنى عمومته، لكنه هزم و قتل أخيه أبى الغنائم في المعركة (ابن الأثير: الكامل، جـ ٩، ص ٢٢٣؛ ابن خلدون: العبر،جـ ١، ص ٤٤١، ٤٤٢).

(١) عن الحويزة راجع الفصل الأول، ص ٢٠، حاشية ٣.

(٢) العيني: عقد الجمان، جـ ١٩، مجلد ٤، مخطوط بدار الكتب المصرية، ص ٦٢٢.

(٣) عن الجزيرة الدبيسية راجع ص ٤٠ حاشية ١.

(٤) ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٧، ص ٢٧٠، ابن الأثير: الكامل، جـ ٩، ص ٢٤٩، ٢٥٠؛ أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، جـ ٢، ص ١٤٤؛ العيني: عقد الجمان، جـ ١٩، مجلد ٤، ص ٦٢٢.

(٥) عن مدينة النعمانية راجع الفصل الأول، ص ٧.

(٦) ابن الأثير: الكامل، جـ ٩، ص ٣٠٤؛ ابن خلدون: العبر، جـ ٤، ص ٤٩٤.

بل اتجهوا إلى الاستفادة من قوته المتنامية، وتسخيرها لخدمة البلاط البويهي، فاستعان به مشرف الدولة[١] في صراعه مع أخيه سلطان الدولة[٢] الذي انتزع منه مدينة واسط، فسارع مشرف الدولة بجمع جيش كبير كان ضمن قواته فرقه من بنى مزيد، واستطاع هذا الجيش أن يحقق هدفه واسترد المدينة[٣].

ولم تقتصر خدمات الأمير دبيس للبويهيين عند حد قمع منافسيهم على السلطة فحسب، بل تعد الأمر إلى الاستعانة بهم في تقليم أظافر القوى المحلية، ففي عام (٤١١ هـ/١٠٢٠م) استعان مشرف الدولة بالأمير دبيس في معاقبة قرواش بن المقلد العقيلى[٤] الذي استشرى خطره و بات يهدد سلطان بنى بوية في العراق، فسارع مشرف الدولة بجمع القوات ومن بينها قوة من بنى مزيد بقيادة دبيس بن مزيد يسانده غريب بن مقن[٥] بجانب جند الأتراك، وتمكنوا جميعاً من الإيقاع بقرواش وفتح مدينة تكريت[٦].

---

(١) مشرف الدولة: هو أحد أبناء بهاء الدولة البويهي، نافس أخاه سلطان الدولة البويهي في حكم العراق، وانتزعها منه، وحكمها نحو خمس سنوات،منذ عام (٤١١ هـ/ ١٠٢٠م) حتى (٤١٦هـ/١٠٢٥م) و خلفه أخوه جلال الدولة (ابن الأثير: الكامل، جـ ٩، ص ٣١٧، ٣٤٦؛ حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، جـ ٣، ص ٥٧ ؛ محمد حسين المظفر: دول الشيعة، موقع على الإنترنت، بعنوان

www.al-shia.com/html/ora/books/Minzan/a19.html.

(٢) سلطان الدولة: هو أبو شجاع بن بهاء الدولة، خلف والده في الحكم عام (٤٠٣هـ/١٠١٢م) حتى توفي عام (٤١٥هـ/١٠٢٤م) عن عمر يناهز اثنين و عشرين عاما، وقد عانى من منافسة أخوته، لذا لم يستقر له قرار طوال سني حكمه (ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٨، ص ٢٤؛ ابن الأثير: الكامل، جـ ٩، ص ٣٣٧).

(٣) نفسه، ص ٤١١؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ ٢٦، ص ٢٤٧.

(٤) قرواش بن المقلد العقيلى: تولى حكم بنى عقيل في الفترة الممتدة بين عامي (٣٩١هـ/١٠٠٠م) و عام (٤٤٤هـ/١٠٥٢م)، امتد حكمه إلى الكوفة والمدائن والموصل، وكان أول من خطب للفاطميين بالعراق عام (٤٠١هـ/١٠١٠م) (ابن الأثير: الكامل، جـ ٩، ص ٢٢٣، ٥٨٧؛ العيني: عقد الجمان، جـ ١٩، مجلد ٤، ص ٥٦٩؛ خاشع المعاضيدى: دولة بنى عقيل، ص ٥٧، ٥٨).

(٥) غريب بن مقن: هو أبو سنان غريب بن محمد بن مقن، صاحب البلاد العليا دجيل و ما حولها، كان ملجأ لكل خائف، توفي في ربيع الآخر، عام (٤٢٥هـ/١٠٣٣م) و خلفه ولده أبو الريان (ابن الأثير: الكامل، جـ ٩، ص ٤٣٨؛ ابن الفوطى: تلخيص مجمع الألقاب في مجمع الآداب، تحقيق د.مصطفي جواد، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٧٣١).

(٦) ابن الأثير: الكامل، جـ ٩، ص ٣٢١، ٣٢٢.

غير أن التعاون لم يستمر طويلاً بين بنى بوية وبنى مزيد، فسرعان ما عاد البويهيون إلي أسلوبهم القديم الساعي إلى تحجيم قوة بني مزيد، وكانت وسيلتهم في ذلك تقديم العون لخصوم دبيس الخارجين عليه من أهل بيته، ففي عام (٤٢٠هـ/١٠٢٩م) قام جلال الدولة[١] البويهي بتقديم العون للمقلد أحد أخوة الأمير دبيس، وقدم له المال و الرجال؛ ليحارب الأمير دبيس ويطرده من إمارته، فما كان من دبيس إلا الدعوة لمنافسه أبى كاليجار[٢] في بلاده، كما قدم له العون حتى استولى على مدينة واسط، مما دفع جلال الدولة إلى الهجوم على حلة[٣] بنى مزيد في النعمانية، الأمر الذي دفع دبيس إلى تدمير جسور الأنهار، مما حال دون تقدم قوات جلال الدولة فارتد عنها.وحين تمكن جلال الدولة من هزيمة أبى كاليجار تفرغ لتأديب دبيس لكنه ابتعد عن المواجهة المباشرة فحرض عليه بنى عمومته، لكن دبيس تمكن من تأديبهم ورد إليهم صوابهم، هنا اتجه حلال الدولة إلي استخدام ورقة أخرى وهي المقلد بن على بن مزيد، الذي كان لاجئاً عند بنى عقيل منذ (٤٠٨هـ/١٠١٧م) فحرضه جلال الدولة على معاودة الثورة على أخيه مرة ثانية وقدم له قوة عسكرية كبيرة، تمكن بها من اجتياح إمارة بنى مزيد، ففر الأمير دبيس إلى البطائح، ثم تدخل غريب بن مقن وأصلح بين جلال الدولة ودبيس، فعفي عنه جلال الدولة و ألزمه دفع مبلغ عشرة آلاف دينار على سبيل العقوبة. وحين زادت قوة دبيس بصورة ملحوظة، عاد جلال الدولة إلى اتباع سياسة تقليم الأظافر، فسمح للبساسيري قائد جند الأتراك عام (٤٢٥هـ/١٠٣٣م) بمد يد العون لثابت بن على بن مزيد – أحد أخوة الأمير علي – ليخرج علي أخيه، و مع ضخامة الحشد أدرك الأمير دبيس أنه لن يستطيع التصدي

---

(١) جلال الدولة: هو أبو طاهر جلال الدولة بن بهاء الدولة البويهي، تولى الحكم بعد أخيه مشرف الدولة عام (٤١٦هـ/١٠٢٥م) وحكم العراق لمدة ستة عشر عاما وتوفي عام (٤٣٥هـ/١٠٤٣م) (ابن الأثير: الكامل، جـ ٩، ص ٣٤٦، ٥١٦؛ حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام،جـ ٣، ص ٥٨.

(٢) أبى كاليجار: هو أبو كاليجار المرزبان بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة، تولى الحكم عام (٤٣٥هـ /١٠٤٢م) و استولى على العراق بعد وفاة جلال الدولة، توفي وعمره أربعون عام (٤٤٠هـ /١٠٤٨م) وخلفه ولده الملك الرحيم (ابن الجوزى: المتظم، جـ ٨، ص ١٣٩؛ ابن الأثير: الكامل، جـ ٩، ص ٥٤٧).

(٣) المقصود بالحلة هنا هي خيام بنى مزيد و لم تكن الحلة قد بنيت بعد.

لهذا الحشد لذلك أخلى بلاده وتركها حتى تحقق غرض البساسيرى و سلم البلاد لثابت و عاد إلى بغداد، هنا جمع دبيس الجموع من بنى أسد وبنى خفاجة واستعاد بلاده وعقد صلحاً مع أخيه[١].

ولم تمنع رغبة البويهيين في تحجيم نفوذ بنى مزيد أو حتى القضاء عليهم، من الاستعانة بهم في أوقات الأزمات، ففي (٤٢٨ هـ/ ١٠٣٦ م) طلب جلال الدولة العون من دبيس بن مزيد لقمع فتنة قام بها بارسطغان[٢] التركي، الذي راسل أبى كاليجار ليوليه الحكم في بغداد، فما كان من جلال الدولة إلا أن فر من بغداد وجمع الجموع من بنى عقيل وبنى مزيد واستعاد المدينة[٣].

هكذا وقر في نفس جلال الدولة أن وجود بنى مزيد له جوانبه الإيجابية، لذلك طلب عون الأمير دبيس ثانية حين ثار عليه جند الأتراك عام (٤٣٠هـ/١٠٣٨م)، وأيقن بالبوار واستعد للفرار من العراق كلها ولم ينقذه سوى وصول نجدة من بنى مزيد وبنى عقيل، مما وطد مركز جلال الدولة فعاد الجند الخارجون إلى الطاعة[٤] وبذلك تأكد السلام بين بنى مزيد وبنى بوية.

ومع صعود أبو كاليجار إلى سدة الحكم في بغداد[٥] توثقت علاقته بدبيس لما بينهما من ود سابق حين تعاون معه عام (٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م) نكاية في جلال الدولة الذي ساعد المقلد بن على بن مزيد في ثورته ضد أخيه دبيس[٦] كما توثقت العلاقة بين دبيس وبين الملك الرحيم بن أبى كاليجار الذي شهد انهيار دولة بنى بوية أمام

---

(١) ابن الأثير: الكامل، جـ ٩، ص ٤٣٦، ٤٣٧؛ ابن خلدون: العبر، جـ ٤، ص ٥٩٥.

(٢) بارسطغان: هو أحد كبار قادة جند الأتراك، وكان يحمل لقب الحاجب، مال إلى أبى كاليجار وساعده في دخول بغداد لكن جلال الدولة قضى على حركته واستطاع القبض عليه وقتله عام (٤٣٠هـ/ ١٠٣٨ م) (ابن الأثير: الكامل،جـ ٩، ص ٤٥٤،٤٥٣).

(٣) ابن الأثير: الكامل: جـ ٩، ص ٤٥٣، ٤٥٤؛ النويري: نهاية الأرب، جـ ٢٧، ص ٧٨.

(٤) ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٨، ص ١٠٢؛ ابن الأثير: الكامل، جـ، ص ٤٥٤.

(٥) عقب وفاة جلال الدولة عام (٤٣٥ هـ/ ١٠٤٣م) استمال أبو كاليجار كبار رجال الدولة بالمال، في وقت شغل فيه الملك العزيز ابن جلال الدولة باللهو واللعب، مما منح أبا كاليجار الفرصة للانفراد بالعراق كله (حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، جـ ٣، ص ٦٠، ٦١).

(٦) ابن الأثير: الكامل، جـ ٩، ص ٤٠٣.

طوفان السلاجقة، وهو ما دفعه إلى تأليف القوى المحلية في العراق علها تساهم في صد تقدم دولة السلاجقة إذا ما تقدموا نحو العراق؛ لذلك منح دبيس بن مزيد إقطاعاً[١] بواسط عام (٤٤١ هـ/ ١٠٤٩م)[٢] حتى يجده عند الحاجة.

وقد تمتع دبيس بذكاء فطرى، مكنه من إدراك طبيعة ظروف بنى بوية في أواخر أيامهم، ومدى سيطرة قادة الجند الأتراك، في وقت كانت فيه دولة بنى بوية تلفظ أنفاسها الأخيرة، لذلك اتجه دبيس إلى مصاهرة البساسيرى قائد جند الأتراك عام (٤٤٥هـ/ ١٠٥٤م)، حين زوج دبيس الأول أبنه بهاء الدولة منصور من ابنة البساسيرى[٣]، وقد استفاد الطرفان من هذه الزيجة السياسية، فقد عاون البساسيرى الأمير دبيس في صد هجمات بنى خفاجة، كما ساعد دبيس البساسيرى في الاستيلاء على الأنبار[٤] وكلا الحدثين كان في عام (٤٤٦هـ / ١٠٤٥م)[٥].

ومهما يكن من أمر فقد لفظت الدولة البويهية أنفاسها الأخيرة بدخول السلطان طغرلبك السلجوقى بغداد عام (٤٤٧هـ / ١٠٥٥م)[٦] وبذلك دخلت إمارة بنى مزيد في علاقات مع المتغلب الجديد على الخلافة العباسية.

نخلص مما سبق إلى أن البويهيين قد قبلوا وجود إمارة بنى مزيد رغماً عنهم في ظل مشاكلهم المتفاقمة، ورغم ذلك عملوا على تحجيم نفوذ الإمارة كلما سنحت الظروف بذلك، لكن ذلك لم يمنع ملوك بنى بوية من الاستعانة بالآلة العسكرية لبنى مزيد عند الحاجة. ورغم شيعية كلا الطرفين إلا أن ذلك لم يترك أثراً واضحاً في العلاقات بينهما، من حيث التقارب أو البعد، ذلك أن المصلحة السياسية كانت هي المتحكم الأول والأخير في علاقة الطرفين ببعضهما.

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن الإقطاع الحربى راجع الفصل الأول ٦٧.

(٢) ابن الأثير: الكامل، جـ ٩، ص ٥٥٧، ٥٥٨؛ ابن خلدون: العبر، جـ ٤، ص ٥٩٥.

(٣) ابن الأثير: الكامل، جـ ٩، ص ٥٩٢.

(٤)الأنبار: مدينة من نواحي بغداد على شاطئ الفرات، تبعد عن بغداد عشرة فراسخ نحو الشمال (أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٣٠٠).

(٥) نفسه، ص ٥٩٩، ٦٠٢؛ ابن كثير: البداية و النهاية، جـ ٦، ص ٥٣٧.

(٦) ابن الأثير: الكامل، جـ ٩، ص ٦٠٩؛ الأصفهانى: تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١٢.

فتنة البساسيرى و اتصال بنى مزيد بالخلافة الفاطمية:

لقد عاصرت إمارة بنى مزيد حدثاً جللاً زلزل كيان الخلافة العباسية وكاد يجعلها أثر بعد عين، ذلك الحدث هو ثورة قائد جند الأتراك أبى الحارث أرسلان البساسيرى، الذي سعى إلى إنهاء وجود الخلافة العباسية، وضم العراق إلى أملاك الخلافة الفاطمية.

وقد ضرب الأمير " دبيس الأول بن على " - ثاني أمراء بنى مزيد بسهم وافر في تلك الحركة، مع تردد في الولاء للفاطميين تارة والمتغلب السلجوقى تارة أخرى. وحتى تتضح لنا الصورة وجب استعراض ثورة البساسيرى بشيء من التفصيل حتى ندرك إلى أي حد أسهم الأمير " دبيس الأول بن على " في هذه الحركة، ومدى تأثيره فيها، وما تركته الحركة من أثر على إمارة بنى مزيد ذاتها.

وقبل أن نتعرض لثورة البساسيرى، يجب أن نعرف أولاً من هو البساسيرى: فهو أبو الحارث أرسلان بن عبد الله البساسيرى التركي [١] كان مولى لأبى على الفارسي النحوي[٢] وانتقل من سيد إلى آخر، حتى صار مملوكاً لبهاء الدولة البويهي[٣]. وقد نسب إلى بسا أو فسا وهي إحدى مدن فارس، لأنه كان مملوكاً لأحد تجار بسا؛ فلقب البساسيرى[٤]. وقد اتصف بالذكاء والمكر فضلاً عن قوة شخصيته، وقد ساعده ذلك

---

(١) ابن خلكان: و فيات الأعيان، جـ ١، ص ١٧٢، ١٧٣؛ ابن ميسر: المقتفي من أخبار مصر، تحقيق أيمن فؤاد سيد، القاهرة ١٩٧١، ص ١٤؛ مصطفي جواد: القاهرة تستولي على بغداد، مجلة المقتطف، المجلد ٨١، أكتوبر ١٩٣٢؛ ص ٤٣؛ عبد الجبار ناجى: ثورة البساسيرى في بغداد، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، العدد الخامس، ص ٤٢؛ حسن على حسن: حركة البساسيرى بالعراق، ندوة التاريخ الإسلامي، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٨٥، ص ٢٤.

(٢) أبو على الفارسي: هو أبو على الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي كان من أئمة النحو و اللغة توفي عام (٣٧٧هـ/ ٩٨٧م) في بغداد (ابن خلكان: و فيات الأعيان، جـ ٢، ص ٨٠).

(٣) ابن الأثير: الكامل،جـ ٩، ص ٦٥٠؛ ابن ميسر: المقتفي، ص ٢٠؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، جـ ٢، تحقيق د. محمد حلمي، القاهرة ١٩٩٩، ص ٢٣٢؛ مصطفي جواد: القاهرة تستولي على بغداد، ص ٤٣.

(٤) المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ٢، ص ٢٣٢؛ ترجمة البساسيرى من موقع الإسلام على الإنترنت بعنوان .http/history.al-aslam.com/Names.asp:year=451

على ارتفاع مكانته لدى بهاء الدولة حتى صار من كبار قادة الأتراك، واستفحل أمره حتى صار الخليفة العباسي و الملك البويهي لا حول لهما و لا قوة[١].

ولعل أكثر الأمور غموضاً في حياة البساسيرى مسألة المذهب الذي كان يتبعه قبل دعوته للفاطميين في العراق، هل كان شيعياً زيدياً مثل سيده بهاء الدولة البويهي؟ أم كان سنياً مثل باقي الجند الأتراك الذين دخلوا في خدمة بنى بوية؟ فهناك ما يرجح سنيته مثل كونه من الجند الأتراك[٢] بجانب تقربه من الخليفة العباسي، الذي صار لا يقطع أمراً دونه[٣]، كما كان هناك ما يرجح شيعيته، وهو كونه مملوك لبهاء الدولة، ومصاهرته للأمير "دبيس الأول بن على" [٤]، لكن كل هذا التداخل يؤكد لنا ميكافلية البساسيرى الذي لم يحفل بقضية المذهب واتبع أسلوب الغاية تبرر الوسيلة ليحقق مزيد من المكاسب باستمرار، حتى إذا فقد كل أمل في مكسب جديد يحرزه في العراق راسل الفاطميين واعتنق المذهب الإسماعيلي على يد المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي[٥].

وقد جاء تقرب البساسيرى من الفاطميين في فترة عصيبة كانت تمر بها الدولة العباسية وبنو بوية المتغلبين عليها، فالخلافة كانت في أشد الضعف ولا حول و لا قوة للخليفة في ظل وجود المتغلب البويهي، بالإضافة إلى عجزها عن مقاومة المد الفاطمي الذي وصل إلى بغداد نفسها والخليفة العباسي لا يملك حيال ذلك سوى كتابة محاضر للطعن في نسب الفاطميين لكن ذلك لم يجد فتيلاً[٦].كما عانى بنو بوية من

---

(١) ابن خلكان: و فيات الأعيان، جـ ١، ص ١٧٢، المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ ٢، ص ٢٣٢؛ السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص ٤٧١؛ مصطفي جـواد: القاهرة تستولي على بغداد، ص ٤٣: عبد الجـبار ناجـى: ثورة البساسيرى في العراق، ص ٤٧؛ محمد جـمال الدين سرور: النفوذ الفاطمي في الشام والعراق، القاهرة، ١٩٦٤، ص ٩٨، ٩٩.

(٢) ابن الأثير: الكامل،جـ ٩، ص ٦٣٤، ٦٣٥ .

(٣) ابن خلكان: و فيات الأعيان، جـ ٢، ص ١٩٢.

(٤) ابن الأثير: الكامل،جـ ٩، ص ٥٨٢ .

(٥) سيرة المؤيد، ص ١٢٥.

(٦) ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٧، ص ٢٣٨.

اجتياح السلاجقة لأملاكهم حتى صارت بغداد قاب قوسين أو أدنى من السقوط [١].

وترجع جذور ثورة البساسيرى إلى عام (٤٤٦هـ/ ١٠٥٤ م) حين ساءت العلاقات بين البساسيرى وبين عميد الدولة أبى طالب – وزير الخليفة القائم – [٢] بسبب سوء الظـن بينهما مما دفع البساسيرى إلى الاستيلاء على الأنبار - من يد بنى عقيل حلفاء الوزير عميد الدولة أبى طالب - بمساعدة الأمير " دبيس الأول بن على " - أمير بنى مزيد –؛ لما بينهما من صهر وتحالف [٣].

وقد بذل الوزير أبى طالب جهداً كبيراً للقضاء على البساسيرى، فأثار الجند الأتراك عليه بحجة أنه سبب تأخر مرتباتهم [٤]، ورغم ذلك حاول البساسيرى ضبط النفس.كما أثار أبي طالب عامة السنة ضد البساسيرى بحجة حيازته للخمر، و هو أمر نفاه البساسيرى وأكد أن الخمر ملك رجل مسيحي[٥]، ثم أعلن الوزير أبى طالب صراحة مراسلة البساسيرى للفاطميين، ويرجح أحد الباحثين أن الخليفة كان في ريب من أمر البساسيرى لذلك قام بتولية وزير سني متشدد يستطيع أن يكبح جماح البساسيرى إذا تجاوز حده[٦].

ويبدو أن الوزير أبى طالب قد أفلح في إقناع الخليفة بخيانة البساسيرى ومراسلته للفاطميين؛ لذلك أمر الخليفة الملك الرحيم البويهي بإبعاد البساسيرى عن بغداد فلم يجد سوى بلاد بنى مزيد يقيم فيها لما بينه وبين الأمير " دبيس الأول بن على " من نسب و صهر، ومع استيلاء السلاجقة على بغداد، قام الوزير ابن مسلمة بنهب دار البساسيرى، وهنا أعلن البساسيري الثورة على الخلافة العباسية وأعلن خروجه على

---

(١) ابن الأثير: الكامل،جـ ٩، ص ٦٠٢ .

(٢) عميد الدولة أبى طالب: ولد عام (٣٠٧هـ / ٩١٩ م) تولى الوزارة للخليفة القائم، ولقب برئيس الرؤساء، وكان حنبلياً معادياً للشيعة، توفي عم (٤٤٨هـ/ ١٠٥٦ م) (ابن الجوزى: المنتظم، جـ، ٨، ص١٧٠؛ خواندمير: دستور الوزراء، ص ١٩٥؛ حسن على: حركة البساسيرى، ص ٣٠).

(٣) ابن الأثير: الكامل،جـ ٩، ص ٦٠٨؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ابن الجوزى: المنتظم، جـ، ص. ٢، ص ٢٣٢.

(٤) ابن الأثير: الكامل،جـ ٩، ص ٦٠٨؛ جمال سرور: النفوذ الفاطمي، ص ١٠٠ .

(٥) ابن الأثير: الكامل،جـ ٩، ص ٦٠٨؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ابن الجوزى: المنتظم، جـ، ص. ٢، ص ٢٣٢.

(٦) عبد الجبار ناجى: ثورة البساسيرى، ص ٥١، ٥٢.

الخليفة العباسي ومراسلة الفاطميين [١]، ولم يبق البساسيري طويلاً في بلاد بنى مزيد؛ ذلك أن السلطان طغرلبك طلب من الأمير " دبيس الأول بن على " إبعاد البساسيرى عن بلاده فلم يجد الأمير "دبيس الأول بن على " سوى تنفيذ الأمر، فسار البساسيرى إلى الرحبة[٢] ومنها بدأ الاتصال المباشر بالفاطميين [٣].

وقد رحبت الخلافة الفاطمية برسل البساسيرى وأوكلت أمر تدبير ثورته إلى المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي الذي كان من أعلام الدعوة الإسماعيلية، وقد ولد عام (٣٩٠هـ/٩٩٩م) من أسرة عريقة في التشيع، وتدرج في الدعوة حتى صار حجة فارس وعرف بنشاطه في سبيل الدعوة، حتى استطاع أن يتقرب إلى الملك البويهي أبى كاليجار البويهي، وهو أمر أثار عامة أهل السنة في فارس واستعانوا بالخليفة العباسي الذي هدده بالاستغاثة بالسلاجقة في حالة بقاء المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي بجواره، فلم يجد أبو كاليجار بداً من إبعاده فسار من فارس إلى مصر عام (٤٣٨هـ/١٠٤٦م)[٤].

أما عن أسلوب المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي في الدعوة، فقد اتبع عدة وسائل لجذب الناس إلى الدعوة الشيعية الإسماعيلية، ومنها بناء المساجد وكتابة أسماء الخلفاء الفاطميين وسلاسل نسبهم على ألواح من ذهب كما فعل في الأهواز مع استخدام أسلوبه البلاغي وحكمته ودهائه في إقناع الناس، حتى اجتمع حوله عدد كبير من أهل فارس. أما العلماء فقد اتبع معهم أسلوب المناظرة خاصة في مجلس أبى كاليجار، و يبدو أنه أظهر في هذه المناظرات تفوقاً واضحاً على مناظريه لدرجة أن أبى كاليجار قربه وجعله أخص جلسائه[٥].

أما البساسيرى فقد استقر في مدينة الرحبة، وأرسل إلى الخليفة الفاطمي

---

(١) عبد الجبار ناجى: ثورة البساسيرى، ص ٥٥.

(٢) عن موقع الرحبة: راجع الفصل الأول ص ٤٧، حاشية ٢ .

(٣) ابن الأثير: الكامل،جـ ٩، ص ٦١٣؛ أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، جـ ٢، ص ١٧٣؛ جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمي، ص ١٠٣ .

(٤) سيرة المؤيد، ص ص ٤ – ٤١.

(٥) سيرة المؤيد، ص ص ٣٥ – ٤١؛ حسن على حسن: حركة البساسيرى في العراق، ص ص ١٠ – ١٢.

المستنصر بالله يطلب منه المدد لفتح بغداد، ووقف تقدم السلطان طغرلبك نحو الشام[١]. وقبل أن نعرف رد الخليفة الفاطمي هناك سؤالاً يطرح نفسه و هو لماذا اختار البساسيرى مدينة الرحبة مقراً له ومنطلقاً لثورته؟ الحقيقة أن المصادر لم تجب لنا عن هذا السؤال، وقد رجح أحد الباحثين أن ذلك لم يأت اعتباطاً بل جاء الاختيار على أساس قرب الرحبة، من أملاك الفاطميين، ذلك أن الرحبة كانت ضمن أملاك ثمال المرداسى أمير بنى مرداس[٢] الذي كان يدين بالولاء للخلافة الفاطمية، إلى جانب سهولة الاتصال بالفاطميين من موقع الرحبة، وأيضاً بعدها عن أيدي السلاجقة المتربصين به[٣] .

وفي الرحبة وفد المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي على البساسيرى مرسل من الخليفة الفاطمي محملاً بالخلع والأموال دون الرجال، وقد استطاع المؤيد أن يجمع جيشاً كبيراً من القبائل العربية الشامية مثل بنى مرداس وبنى مروان الأكراد[٤] ومع ذلك لم يكتف المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي بهذا الحشد بل سعى إلى ضم القوى العربية العراقية ذات الثقل خاصة الأمير " دبيس الأول بن على بن مزيد"، فأرسل إليه يدعوه إلى المشاركة في حركة البساسيرى، وكان رد الأمير " دبيس الأول بن على " بالإيجاب، ولعل دافعه إلى ذلك ما ذكره المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي بأن السلطان طغرلبك قد طلب من الأمير دبيس رهينة من أولاده تبقى عنده ضماناً لولائه،

---

(١) ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر، ص ١٤.

(٢) إمارة بنى مرداس: ينتسب بنو مرداس إلى بنى كلاب إحدى بطون ربيعية بن عامر، و هم من العرب المضرية، هاجروا من الجزيرة العربية في نهاية عهد الإخشيديين وبداية عهد الحمدانيين، في أوائل القرن الرابع الهجري، واستطاعوا استغلال ظروف بلاد الشام وأسسوا لأنفسهم إمارة مقرها حلب منذ عام (٤١٦هـ/ ١٠٢٥م) (محمد مرسى الشيخ: الإمارات العربية في بلاد الشام، الإسكندرية، ١٩٨٠، ص ص ١١٩ – ١٢٧).

(٣) عبد الجبار ناجى: ثورة البساسيرى، ص ٦١، ٦٢.

(٤) سيرة المؤيد، ص ٤١٠٧ محمد جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمي، ص ١٠٥. بني مروان: أسرة كردية تنسب إلي أبا علي الحسن بن مروان بن دوستك، أسس لنفسه إمارة في حصن كيف و دان له زعماء الأكراد بالطاعة و ذلك في الربع الأخير من القرن الرابع الهجري، واستمرت تلك الإمارة حتي عام (٤٧٩هـ/١٠٨٦م)(محمد أمين زكي: تاريخ الدول والإمارات الكردية في العهد الإسلامي، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٦٤هـ، ص ص ١٠٢-١٢٥.

وكذلك دفع مبلغ مالي كبير على سبيل الجزية[١] وهو ما دفع دبيس إلى الإسراع بالانضمام إلى حلف البساسيرى فإن نفسه العربية تأبى عليه الخضوع المذل للمتغلب الجديد على الخلافة العباسية. والحقيقة أن المؤيد قد انفرد برواية كيفية اتصال الأمير دبيس به، ولم تذكر لنا المصادر السنية ما يناقض ذلك، ولعل ما يؤيد هذه الرواية هو دخول الأمير " دبيس الأول بن على " في طاعة السلطان طغرلبك حتى أنه استجاب لطلبه بطرد البساسيرى كما ذكر من قبل.

ومهما يكن من أمر فقد تقدم دبيس نحو الرحبة، وخرج المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي لاستقباله، لكن دبيس طلب منه أن يخرج الأمير ثمال بن صالح بن مرداس[٢] لاستقباله وهو أمر عارضه جمهور بنى مرداس بشدة[٣] و لم توضح لنا المصادر سبب هذا الإصرار إلا أن يكون نوعاً من السعي لإبراز زعاماته على القبائل العربية،وربما أدرك جمهور بنى مرداس هدف دبيس؛ لذا رفضوا الأمر. وقد استطاع المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي أن يقنع دبيس بالتنازل عن هذا الشرط واكتفي أن يستقبله المؤيد، وسرعان ما طالب دبيس بالخلع والأموال مثلما حصل عليها البساسيرى من قبل[٤].

ومن الواضح أن الأمير " دبيس الأول بن على " كان يشك في إمكانية نجاح حركة البساسيرى، وهو ما أعرب عنه في اجتماع ضمة والمؤيد في الدين هبة الله الشيرازي ومن حضر من زعماء القبائل العربية، حين أعلن صراحة شكه في قوة حلف البساسيرى[٥]، والذي تكون من خليط من الأعراق من عرب وأكراد و أتراك، هو حلف كما يتضح من تكوينه مختلف المزاج من الصعب التأليف بين قلوب مكونيه،

---

(١) سيرة المؤيد، ص ١٢٥.

(٢) ثمال صالح بن مرداس: هو ثمال بن صالح بن مرداس الكلابي أبي علوان معز الدولة من ملوك الدولة المرداسية بحلب كان كريماً شجاعاً ولي الملك سنة (٤٣٤هـ/٩٤٥م) أيام قيام دولة الفاطميين بمصر (محمد مرسي الشيخ: الإمارات العربية في بلاد الشام، ص ٤١١٠؛ موقع تاريخ الإسلام علي الإنترنت بعنوان http://history.com/names.asp?year=454#n2196

(٣) سيرة المؤيد، ص ١٢٥.

(٤)نفسه، ص ١٢٦.

(٥) نفسه.

بالإضافة إلى توافر احتمالات التذمر وظهور الأحقاد والأطماع الشخصية مما يساعد على سرعة انهيار حلف البساسيرى في أي لحظه لأبسط الأسباب[١] وقد بذل المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي جهده من خلال مجادلة الأمير " دبيس الأول بن على " وإبطال حججه حتي يمحو آثار كلماته على الحاضرين حتى لا تتنافر قلوبهم التي لم تجتمع أصلاً[٢].

وفي المفاوضات التي جرت بين الأمير " دبيس الأول بن على " والمؤيد في الدين هبة الله الشيرازي في سبيل الحصول على بيعة دبيس للخليفة الفاطمي، تجلت لنا حيطة دبيس و ذكائه فلم يرد أن ينفرد بالرأي في هذا الموضوع الخطير نظراً لما بين بنى مزيد والفاطميين من خلاف مذهبي[٣]؛ لذلك اصطحب معه طائفة من فقهاء الإمامية الذين حولوا المفاوضات السياسية إلى مناظرات دينية في فقه المذهب الشيعي[٤].

وتأسيساً على ما سبق فدخول الأمير " دبيس الأول بن على " في حلف البساسيرى وحصوله على الخلع الفاطمية لم يكن يختلف عن دعوته للخليفة العباسي، ذلك أن كلا الخليفتين لا حق له في الإمامة من وجهة نظر الشيعة الإمامية، فإمامهم هو الإمام المستور – محمد بن الحسن العسكري- حتى يظهر وبالتالي بيعة دبيس لهذا أو ذاك لا تعدو إلا أن تكون من قبيل المصلحة البحتة لا الإيمان المذهبي.

ولما صارت الخلافة العباسية صورة بلا معنى في وقت ظهرت فيه منفعة أكبر من جانب الفاطميين تمثلت في المال الجزيل الذي حمله المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي من مصر لتأليف قلوب الناس به، اتجه دبيس إلى الاستفادة من هذا المال

---

(١) عبد الجبار ناجى: ثورة البساسيرى، ص ٦٤.

(٢) سيرة المؤيد، ص ١٢٦؛ عبد الجبار ناجى: ثورة البساسيرى، ص ٦٤.

(٣) رغم اشتراك الفاطميين وبنى مزيد في اتباع المذهب الشيعي إلا أن هناك فرقاً في تشيع كل منهما، فالإمامية و هي مذهب بنى مزيد، يعتبرون الإمامة قد انتقلت بعد الإمام جعفر الصادق إلى ولده موسى الكاظم دون أخيه إسماعيل في حين أن الإسماعيلية، وهي مذهب الفاطميين يقولون بانتقال الإمامة إلى إسماعيل دون أخيه موسى (القلقشندى: صبح الأعشى، جـ ١٣، ص ٢٢٩، ٢٣٦).

(٤) سيرة المؤيد، ص ١٢٦.

بالمشاركة في حركة البساسيرى[١]. ومن الواضح أن المفاوضات بين دبيس والمؤيد قد استغرقت بعض الوقت، في ظل المناظرات بين وفد دبيس والمؤيد، سعى الوفد من خلالها للحصول على أكبر مكسب ممكن، وقد صبر المؤيد كثيراً على هذه المعناه حرصاً على ضم الأمير " دبيس الأول بن على " إلى التحالف[٢].

وقد عانى المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي كثيراً حتى إذا تم الاتفاق عارض رجال دبيس في صيغة العهد الممنوح له، فأخذوا يبدون المعارضة لبعض النصوص فيتناولونها بالحذف أو التغيير،ولم يقبل الأمير " دبيس الأول بن على " العهد الممنوح له حتى أقره مستشاروه وبمقتضى هذا العهد بايع الخليفة الفاطمي وحصل على لقب " الأمير سلطان ملوك العرب سيف الخلافة، صفي أمير المؤمنين"[٣] وهذا اللقب يوضح إلى أي حد ارتفعت مكانة الأمير " دبيس الأول بن على "، وما يضيفه إلى حركة البساسيرى بإنضمامة إليها، خاصة القوة العددية من جمهور بنى أسد بالإضافة إلى من دخل في ولائه من الأكراد والأتراك الذين فروا من السلاجقة الغز فانتقلوا إلى الأمير " دبيس الأول بن على " ودعموا جيشه [٤].

وبانضمام دبيس إلى جيش البساسيرى اكتمل الحلف، الذي تميز بشكل واضح بتنافر أعضائه، غير أن المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي بذل جهداً كبيراً في سبيل لم الشمل والقضاء على الخلافات التي بين الأمراء العرب حول الألقاب والخلع، ونجح المؤيد مرحلياً في تخطى هذه الخلافات واستطاع أن ييسر للبساسيرى قيادة هذا الجمع ليحقق نصر سنجار[٥] عام (٤٤٨هـ / ١٠٥٦م) على جيش السلاجقة الذي أرسله السلطان طغرلبك لفك عرى تحالف البساسيرى، بقيادة عمه قتلمش - جد سلاجقة الروم – يعاونه قريش بن بدران العقيلى، وقد ضرب الأمير " دبيس الأول بن على "

---

(١) سيرة المؤيد، ص ١٢٧.

(٢) نفسه، ص ١٢٦.

(٣) نفسه، ص ١٢٨.

(٤) أرشيد يوسف: سلاجقة الشام و الجزيرة، ص ٤٤.

(٥) سنجار: مدينة مشهورة بنواحي الجزيرة بينها و بين نصيبين ثلاثة أيام (ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ ٣، ص ١٥٨.

بسهم وافر في معركة سنجار من خلال استخدام نسائه في إثارة حمية العرب المشاركين في المعركة بالإضافة إلى القوة العددية التي أضافها إلى الحلف بانضمامه إليه[١].

وما أن انجلى غبار المعركة عن نصر حلف البساسيرى حتى تجهز لدخول مدينة الموصل بعد هزيمة جيش السلاجقة ومن به من بنى عقيل، وأصبح الطريق مفتوحاً نحوها، ليبدأ البساسيرى في تحقيق وعده للخلافة الفاطمية بإسقاط الخلافة العباسية، وليس هناك ما يوضح لنا سبب بدأ البساسيرى بالاستيلاء على الموصل، هل كان ذلك ضمن مخطط توسعي، أم أن الأمر لا يعدو أن يكون خلافاً مع قريش بن بدران العقيلى الذي رفض الانضمام إلى الحلف، و يُرجح أحد الباحثين أن الأمر الأخير هو الأكثر رجاحةً، فقد أراد البساسيرى إرغام قريش بن بدران على دخول الحلف[٢].

ولم يعد انضمام قريش إلى الحلف بالمهانة عليه، فقد حال الأمير " دبيس الأول بن على " بين حلف البساسيرى وبين متاع وحريم قريش بن بدران، وقد فسر المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي[٣] ذلك بأنه كان اتفاقاً مسبقاً بين الأمير " دبيس الأول بن على " و"قريش بن بدران العقيلى" بأن ينحاز كل واحد منهما إلى أحد طرفي النزاع، أحدهما إلى حلف البساسيرى، والآخر إلى السلاجقة؛ حتى يمنع كلٌ منهما صاحبه إذا ما رجحت كفة أي الفريقين، إلا أنه يرجح أن تصرف الأمير " دبيس الأول بن على " قد جاء من قبيل تطويق عنق قريش بجميل يحمله له في أوقات الأزمات إذا ما تعرض لها، بجانب سابق الود بينهما. وهكذا دخل قريش إلى الموصل في صحبة المنتصرين دخول الظافرين [٤]. وعلى الفور أسرع المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي بإرسال

---

(١) سيرة المؤيد، ص ١٢٤؛ ابن الأثير: الكامل جـ ٩، ص ٦٢٥؛ الصيرفي: الإشارة إلى من نال الوزارة، ص ٤٤؛ سليمان الموصلي: تاريخ الموصل، جـ ١، ص ١١٠؛ أرشيد يوسف: سلاجقة الشام و الجزيرة، ص ٤٥؛ جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمي في الشام و الجزيرة، ص ١١٠؛ عبد الجبار ناجى: ثورة البساسيرى، ص ٦٦.

(٢) عبد الجبار ناجي: ثورة البساسيري، ص ٦٤.

(٣) سيرة المؤيد، ص ١٣٤.

(٤) نفسه، ص ١٣٠؛ ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٨، ص ١٧٣.

بشائر النصر إلى الحضرة الفاطمية بما حققه البساسيرى من انتصار، فسُر الخليفة الفاطمي كثيراً، و أرسل الخلع إلى القادة المشاركين في المعركة[١].

وبالرغم من النصر الذي حققه حلف البساسيرى إلا أنه لم يكتب له البقاء طويلاً، فقد طفت ما بينهم من خلافات على السطح بأسرع مما توقع المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي، وهو ما أدى إلى سرعة انفراط عقد التحالف فور تقدم السلطان طغرلبك لقمع حركتهم واسترداد الموصل،وأخذ قادة العرب يهرولون نحو طغرلبك راجين عفوه عنهم، وكان على رأسهم قريش بن بدران العقيلى والأمير " دبيس الأول بن على "، ولم يتوان السلطان طغرلبك عن العفو عنهما، ورغم ذلك لم يأمن كل منهما على نفسه منه، فلم يسيرا إليه بل اكتفيا بإرسال من ينوب عنهما إليه [٢].

وقد علل أحد الباحثين سبب سرعة انفراط عقد حلف البساسيرى بعدة أمور نتفق فيها معه ومنها ظهور الخلافات بين أمراء العرب المتنافسين فيما بينهما، كذلك التناحر بينهم على المال، كذلك مساعي الوزير الكندرى[٣] وزير السلطان طغرلبك في إغراء الأمراء العرب بالمال والخلع والإقطاعيات، وأخيراً القوة الكاسحة لجيش السلاجقة بقيادة السلطان طغرلبك[٤].

وأمام فشل جهود البساسيرى وارتداده إلى مدينة الرحبة، أخذ المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي يجدد محاولاته لإعادة جمع شتات الحلف السابق بإرسال رسائل إلى الأمراء العرب مثل الأمير " دبيس الأول بن على " وقريش بن بدران العقيلى و غيرهم لكن الرسائل لم تفلح هذه المرة[٥]. وهكذا انتهت المرحلة الأولى من ثورة

---

(١) سيرة المؤيد، ص ١٣٢؛ ابن الأثير: الكامل،جـ ٩، ص ٦٢٦؛ حسن على: حركة البساسيرى، ص ٥١؛ خاشع المعاضيدى: دولة بنى عقيل، ص ٨٨.

(٢) ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٨، ص ١٧٣، ابن الأثير: الكامل،جـ ٩، ص ٦٢٧، ٦٢٨؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ ٢، ص ٢٣٤؛ أرشيد يوسف: سلاجقة الشام و الجزيرة، ص ٤٥.

(٣) الوزير الكندرى: هو عميد الملك أبو نصر الكندرى، وزر للسلطان طغرلبك لمدة عشرين عاما، ثم قتل في أول عهد ألب أرسلان بوشاية من نظام الملك (خواندمير: دستور الوزراء ٢٣٤).

(٤) عبد الجبار ناجى: ثورة البساسيرى، ص ٦٦.

(٥) سيرة المؤيد، ص ١٤١ –١٤٦.

البساسيرى، ولعل أبرز نتائجها ما منيت به من فشل، ورغم ذلك لم ييأس البساسيرى.

وما لبثت أن أخذت الظروف تتهيأ للمرحلة الثانية من الثورة، وهذه المرة جاءت من داخل البيت السلجوقى ذاته، حين خرج أحد أخوة طغرلبك عليه وهو إبراهيم ينال، الذي راسل المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي والبساسيرى ليدخل في طاعة الخليفة الفاطمي لأحقاد بينه وبين أخيه السلطان طغرلبك، وبغض النظر عن أي الطرفين هو البادئ بالمراسلة، فالمحصلة النهائية هي ثورة ينال ضد السلطان طغرلبك، وهو ما جعل طغرلبك ينصرف عن البساسيرى بقتال أخيه[١].

هنا استغل البساسيرى هذه الفرصة وجمع العسكر وانضم إليه قريش بن بدران العقيلى، وسارا إلى بغداد و استوليا عليها، فاستجار الخليفة بقريش بن بدران، فأرسله قريش إلى ابن عمه مهارش العقيلى[٢] ليكون عنده في أمان. وفور علم الفاطميين بالأمر تزينت القاهرة للاحتفال بهذه المناسبة[٣].

والذي يهمنا في المرحلة الثانية من ثورة البساسيرى هو دور الأمير " دبيس الأول بن على" فيها فمن المعروف أنه قد عاد إلى طاعة السلطان طغرلبك بعد دخوله الموصل وهروب البساسيرى منها، وهو ما شجع الخليفة العباسي على طلب عون الأمير " دبيس الأول بن على " حين شعر بخطر البساسيرى وعزمه على قصد بغداد في ظل انشغال السلطان طغرلبك بالقضاء على ثورة أخيه ينال. وقد أدرك الأمير " دبيس الأول بن على " خطورة الموقف، فطلب من الخليفة أن يسير معه إلى إمارته،

---

(١) ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٨، ص ١٩١؛ ابن الأثير: الكامل،جـ ٩، ص ٦٤٠؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ ٢، ص ١٩١، ١٩٢؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ٥، ص ٧؛ أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، جـ ٢، ص ١٧٧.

(٢) مهارش العقيلي: هو محي الدين أبو الحارث مهارش بن المجلي العقيلي،حكم الديثة وعانة، توفي عن عمر يناهز التسعين عام (٤٩٩/١١٠٥م) (خاشع المعاضيدي: دولة ني عقيل، ص ٦٨،٦٧)

(٣) حول تفاصيل دخول البساسيرى إلى بغداد و ما ترتب على ذلك من أحداث و مدى سعادة الفاطميين بالأمر راجع ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٨، ص ١٩١، ١٩٢؛ ابن الأثير: الكامل،جـ ٩، ص ٦٤١، ٦٤٢؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ ٢، ص ٢٥٢، ١٥٣؛ ابن الصيرفي: الإشارة إلى من نال الوزارة، ص ٤٤؛ ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر ص ٦١٩؛ مصطفي جواد: القاهرة تستولي على بغداد، ص ٣٣٤، حسن على حسن: حركة البساسيرى، ص ٦١.

وهناك يتعاون مع القائد التركي هزارسب – حاكم واسط - في حماية الخليفة من البساسيرى، لكن الخليفة تردد في ترك بغداد، وهو ما اضطر الأمير " دبيس الأول بن على " إلى العودة إلى بلاده؛ لإدراكه عدم إمكانية الصمود أمام البساسيرى إذا ما هاجم بغداد[١].

ومع دخول البساسيرى بغداد، لم يظهر دور واضح للأمير " دبيس الأول بن على " في هذه المرحلة، لكن من الواضح أنه بقى على صلة طيبة مع البسا سيرى بدليل محاولة هزارسب بن بنكير توسيط دبيس ليحصل له علي عفو من البساسيرى، كما ترك ولده منصور في بغداد، فقام بدور في المفاوضات بين البساسيرى وقريش بن بدران بشأن الخليفة العباسي تلك المفاوضات، التي انتهت ببقاء الخليفة في جوار قريش لدى ابن عمه مهارش حاكم الحديثة، وتسليم وزير الخليفة إلى البساسيرى، وهو أمر عهد إلى منصور بن دبيس القيام به[٢].

وظل دبيس في بلاده يراقب ما تسفر عنه الأحداث في بغداد، هل يستمر وجود البساسيرى أم تنهار حركته بانتصار السلطان طغرلبك على أخيه ينال، وكان الفرض الثاني هو ما تم بالفعل، فقد تخلص طغرلبك من ينال ودخل بغداد مع الخليفة، في وقت كان فيه البساسيرى في مدينة واسط [٣]، فلم يجد سوى مراسلة الأمير " دبيس الأول بن على " لعجزه عن الصمود أمام السلطان طغرلبك ولما أبطأ دبيس في الرد على الرسالة سار البساسيرى إليه بنفسه [٤].

أرسل السلطان طغرلبك جيشاً كبيراً للقضاء علي البساسيري، ولذلك خطط البساسيرى لمهاجمته قبل أن يستريح من عناء الطريق بين بغداد والكوفة، ولكن الأمير " دبيس الأول بن على " ثبطه و أجل الهجوم، و هو ما أعطى الوزير الكندرى – وزير السلطان طغرلبك - الفرصة لجذب الأمير " دبيس الأول بن على " إلي جانب

---

(٣) ابن الأثير: الكامل،جـ ٩، ص ٦٤٠، ٦٤١؛ دائرة المعارف الإسلامية، جـ ٧، ص ٢١٠.

(٢) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ٥، ص ٩.

(٣) ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٨، ص ٢٠٥ – ٢٠٨؛ ابن الأثير: الكامل،جـ ٩، ص ص ٦٤٦ – ٦٤٨؛ ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، جـ ١، ص ٨٩؛ الصدفي: دول الإسلام، جـ ١، ص ١٩٤ ؛ السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص ٤١٩؛ أبو الفدا: المختصر، جـ ٢، ص ١٧٧.

(٤) ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٨، ص ٢٠٩.

السلطان، فراسله وأكد له حسن ظن الخليفة فيه وطلب منه تسليم البساسيرى، وعدم الاحتجاج بعادة الجوار العربية فأجاب الأمير " دبيس الأول بن على " بأنه على الطاعة وأنه مكره على الأمر، لنزول البساسيري عليه، واقترح عليه السعي في الإصلاح بين البساسيرى و السلطان. وأكد ابن الجوزى أن الأمير " دبيس الأول بن على " لم يكن يريد من وراء هذه المراسلات سوى كسب الوقت ليرسل أولاده و حريمه و أمواله إلى مأمن بعيد عن أيدي جند السلاجقة إذا ما دخلوا بلاده مطاردين البساسيرى، كما سعى الأمير دبيس بن علي من وراء مطاولة المراسلات إلى تحريك البساسيرى وقواته خارج إمارة بنى مزيد حتى يتجنب أكبر قدر ممكن من الخسائر إذا ما دارت المعركة المتوقعة بين قوات البساسيرى وجيش السلاجقة. وفعلاً نجح الأمير " دبيس الأول بن على " في تحريك جيش البساسيرى حتى طرف البادية، وقبل أن يكمل دبيس مخططه وينفصل عن جيش البساسيرى، هاجمتهم القوات السلجوقية مما أدى إلى مشاركة دبيس في القتال لينقذ ما يمكن إنقاذه من أمواله، ومع هزيمة قوات البساسيرى تشتت جمع العشائر العربية المساندة له وسقط البساسيرى صريعاً وفر الأمير " دبيس الأول بن على " وأسر اثنين من أولاده[١].

عقب انتهاء المعركة وهدوء الأحوال، راسل الأمير " دبيس الأول بن على " السلطان طغرلبك مؤكداً ولائه، فقبله السلطان بناء على ما كان بينه وبين الوزير الكندرى من مراسلات، فأطلق له السلطان ولديه الأسيرين، ثم سار دبيس إلى حضرة السلطان طغرلبك فأكرمه و دخل معه إلى بغداد دخول الظافرين[٢].

هكذا آلت حركة البساسيرى إلى الفشل بعد أن دعي للخليفة الفاطمي على منابر بغداد بنحو عام فقد دخل بغداد يوم السادس من ذي القعدة (٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) وخرج منها في السادس من ذي القعدة (٤٥١هـ / ١٠٥٩م) [٣]. ولعل أهم أسباب فشل

---

(١) ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٨، ص ص ٢٠٧ – ٢١١؛ ابن الأثير: الكامل،جـ ٩، ص ٦٣٩؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ ٢، ص ١٥٦، ٢٥٧؛ الذهبي تاريخ الإسلام أحداث ٤٥١هـ؛ ابن خلدون: العبر، جـ٤ ص ٤٩٨؛ الأصفهانى تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٢٠.

(٢) ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٨، ص ص ٢١١.

(٣) النويرى: نهاية الأرب في فنون الأدب، جـ ٢٦، ص ٢٣٢؛ خاشع المعاضيدى: دولة بنى عقيل، ص ٩٨.

الحركة يعود إلى أن البساسيرى لم يكن لديه جيش من الشيعة الإسماعيلية يقاتل عن عقيدة بأحقية الفاطميين في الخلافة، بل كان جيشه مكون من أصحاب مصالح طامعين في مال الفاطميين وخلعهم، ولم يحاربوا عن هدف غير المال. أما البساسيرى فلم يكن رجل مذهب، وإنما رجل سيف وسياسة، لم يتجه إلى الاتصال بالفاطميين إلا لاختلافه مع الخليفة العباسي ووزيره، ومما يؤكد فقدان البساسيرى للوازع المذهبي عدم تعصبه لأي مذهب حين دخل بغداد، أما الفاطميون فلم يكونوا مدركين لأهمية حركة البساسيرى ولم يقدموا لها الدعم الكافي بسبب شك الخليفة الفاطمي المستنصر في صدق انتماء البساسيرى إلى المذهب الشيعي الإسماعيلي، بالإضافة إلى وجود الوزير أبى الفرج بن الغربي [١] في بلاط الخليفة الفاطمي فقام بالتشكيك في نوايا البساسيرى و حركته، كما نهبت معظم الأموال التي رصدت للحركة على يد كبار الموظفين الفاطميين، يضاف إلى ذلك الأزمة الاقتصادية الخانقة التي عانت منها مصر في عهد الخليفة المستنصر المعروفة بالشدة المستنصرية، على أن أهم أسباب فشل الحركة هو القوة العسكرية الكاسحة التي أمتلكها السلطان طغرلبك [٢]

أما عن أثر حركة البساسيرى على إمارة بنى مزيد فإنه كان أثراً محدوداً، لم يحل دون قبول السلطان طغرلبك لطاعة الأمير " دبيس الأول بن على " و بقاء إمارة بنى مزيد كما هي، بل عززت بدخول الأمير " دبيس الأول بن على " إلى بغداد مع السلطان طغرلبك دخول الظافرين، ولعلنا لاحظنا من خلال الأحداث أن مشاركة دبيس الأول في حركة البساسيرى كان من قبيل اللعب على الجواد الرابح و الحصول على أكبر مكسب ممكن، مع توفير عامل أمان بالإتفاق مع قريش بن بدران ليحمى كل منهما صاحبة في حالة انتصار الفريق الذي ينحاز إليه، وكل ما سبق يؤكد لنا حرص " دبيس الأول بن على " على تحقيق أكبر مكسب لإمارته على حساب القوى المحيطة

---

(١) الوزير أبى الفرج بن المغربي: هو أبو الفرج محمد بن جعفر المغربي، تولى الوزارة للخليفة الفاطمي المستنصر في الفترة من (٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م) حتى (٤٥٢هـ / ١٠٦٠ م) وتوفي (٤٧٨هـ / ١٠٨٥م) (الصيرفي: الإشارة إلى من نال الوزارة، ص ٤٧، ٤٨).

(٢) حسن على حسن: حركة البساسيرى، ص ص ٧٤، ٧٧؛ عبد الجبار ناجى: ثورة البساسيرى، ص ٧٥، ٧٧.

بأقل نسبة خسارة ممكنة وهو طابع سوف نلاحظه في معظم أمراء بنى مزيد.

علاقات بنى مزيد بالسلاجقة:

رسخت قدم السلاجقة بالعراق بقضائهم على فتنة البساسيرى ولم يجد الأمير " دبيس الأول بن على " بداً من طاعتهم حفاظاً على إمارته، ورغم ما بين السلاجقة وبنى مزيد من خلاف مذهبي إلا أن سنية السلاجقة لم تحل دون قبول طاعة بنى مزيد الشيعة الإمامية ما داموا على طاعتهم للسلطان السلجوقى ودعوتهم للخليفة العباسي. وقد كان لوساطة هزار سب بن بنكير[١] أثراً كبيراً في تأكيد صفو العلاقات بين السلطان طغرلبك والأمير " دبيس الأول بن على" وقد علل أحد الباحثين سبب قبول طغرلبك لطاعة دبيس، بخشيته من مقابلة الإساءة لدبيس بثورة عامة من بنى أسد ضد السلاجقة وهو ما يؤدى إلى حالة من عدم الاستقرار في جنوب العراق لذلك فضل طغرلبك أن يطوق دبيس بجميل العفو عنه[٢].

وقد استكان الأمير " دبيس الأول بن على " واكتفي بالخروج سالماً من فتنة البساسيرى و بقى في طاعة السلطان طغرلبك حتى تـوفي . وعندما جلس السلطان ألب أرسلان[٣] على عرش السلاجقة بقى الود متصل بين الطرفين، ولم يعكر صفو العلاقات بين الطرفين سوى وقوف هزارسب بن بنكير – صديق دبيس القديم – ضده راغباً في غواية السلطان ألب أرسلان ليبطش بدبيس مستغلاً لمصاهرته للسلطان، إلا أن السلطان لم يتأثر كثيراً بتلك السعايات التي انتهت بوفاة هزارسب عام (٤٦٢هـ / ١٠٦٩م)[٤] ولا نجد تفسيراً للمسلك المضاد الذي سلكه هزارسب سوى المنافسة

---

(١) هزار سب بن بنكير: هو أحد قادة السلاجـقة، كـان صـهراً للسلطان ألب أرسلان، قام بدور كبير في التقريب بين الأمير " دبيس الأول بن على " والسلطان طغرلبك عدة مرات حتى صار صديقاً لدبيس (ابن الأثير: الكامل،جـ ١٠، ص ٨؛ ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٨، ص ٢١١).

(٢) كركوش الحلي: تاريخ الحلة، جـ ١، ص ١٨.

(٣) السلطان ألب أرسلان : هو ألب أرسلان محمد بن داود بن جـغرى بن ميكائيل بن سلجـوق بن دقاق، تولى سلطنة السلاجقة في الفترة الممتدة بين عامي (٤٥٥هـ / ١٠٦٣م) حتى عام (٤٦٥هـ / ١٠٧٢م) (الأصفهانى: تاريخ دولة آل سلجوق، ص ص ٣٠، ٤٧).

(٤) ابن الأثير: الكامل،جـ ١٠، ص ٦١ .

السياسية[١].

ويبدو أن السلطان ألب أرسلان كان على بصيرة بالأمر وشعر أن دافع هزارسب هو الغيرة والمنافسة لا أكثر، لذلك لم يتخذ أية إجراءات ضد الأمير "دبيس الأول بن على " الذي كان ذا حنكة سياسية، جعلته يسرع إلى السلطان ليعزيه في وفاة صهره، ويزيل ما قد يكون عالقاً بنفس السلطان من جراء هذه الوشايات، وتقديراً من السلطان ألب أرسلان لإخلاص الأمير "دبيس الأول بن على " أمر الوزير نظام الملك[٢] أن يخرج لاستقبال دبيس على أبواب أصفهان[٣] حيث كان يقيم السلطان في ذلك الوقت عام (٤٦١هـ / ١٠٦٨م)[٤].

وتوفي السلطان ألب أرسلان عام (٤٦٥هـ / ١٠٧٥م) وخلفه ولده السلطان ملكشاه[٥] الذي عانى من رفض بعض أفراد البيت السلجوقى لتوليه العرش،رغم ترك ألب أرسلان وصية بأن يخلفه و لده ملكشاه، و من أبرز من خرجوا عليه كان عمه قاروت الذي سعى إلى السلطنة بعد وفاة أخيه السلطان ألب أرسلان[٦] مما جعل السلطان ملكشاه يتجه لمحاربته فاستعان بعدد من الإمارات العربية و من بينها إمارة

---

(١) عبد المجيد أبو الفتوح: علاقات بنى مزيد، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، ١٩٨٧، ص ١٨٣.

(٢) نظام الملك: هو أبو على حسن الطوسى الملقب بنظام الملك و زر للسلطانين ألب أرسلان و ملكشاه تسعاً و عشرين سنة متصلة، أرسى خلالها نظام الإقطاع العسكري، و توفي عام (٤٨٥هـ/ ١٠٩٢ م) (ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٩، ص ٦٤ – ٦٨؛ خواندمير: دستور الوزراء، ص ص ٢٤٥، ٢٦٠؛ Lewis: The Arab in history , p.p.145- 148.

(٣) أصفهان: مدينة من نواحي الجبل في آخر الإقليم الرابع (ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ ١، ص ٢٧٠.

(٤) ابن الأثير: الكامل،جـ ١٠، ص ٦١.

(٥) السلطان ملكشاه: هو أبو الفتح ملكشاه بن الب ارسلان السلجوقي. ولد عام (٤٤٧هـ/١٠٥٥م)، تولي سلطنة السلاجقة في الفترة بين عامي (٤٦٥-٤٨٥هـ/١٠٧٢-١٠٩٢م) (ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٤، ص ص ٣٧٠-٣٧٥).

(٦) من أخطر المشاكل التي عانت منها دولة السلاجقة، تلك الصراعات على الحكم بين أفراد البيت السلجوقى في ظل عدم وجود قاعدة ثابتة لتوريث الملك، ويرجع ذلك بشكل أساسي إلى قرب عهد السلاجقة من البداوة، والسرعة التي تكونت بها دولتهم، بالإضافة إلى تعدد فروع الأسرة السلجوقية، وهو ما أدى إلى تفتت السلطنة بعد وفاة ملكشاه (حول تلك تفاصيل تلك الصراعات راجع ابن الأثير: الكامل،جـ ١٠، الأصفهانى: تاريخ دولة آل سلجوق ٥٠)وما بعدها .

بنى مزيد التي أرسلت فرقة لمساندة السلطان ملكشاه بقيادة الأمير " دبيس الأول بن على "، وكان لتلك الفرقة دوراً متميزاً في إحراز النصر عام (٤٦٥هـ / ١٠٧٠م)[١].

وفي ظل الولاء الكامل السلطان ملكشاه عاش الأمير " دبيس الأول بن على " حتى توفي عام (٤٧٤هـ / ١٠٨١م) فسارع ولده الأمير "منصور بن دبيس" بالذهاب إلى السلطان ملكشاه، الذي سعد بزيارته وأقره على إمارته خليفة لوالده ولقبه "بهاء الدولة" ثم عاد إلى بلاده في أوائل (٤٧٥هـ / ١٠٨١م)[٢].

وقد سار الأمير " منصور بن دبيس " على سيرة والده الحسنة مع السلاجقة وتوطدت علاقته مع الوزير نظام الملك، الذي حزن كثيراً عندما توفي الأمير " منصور بن دبيس " عام (٤٧٩هـ / ١٠٨١م) وعلق على ذلك قائلاً " مات أجل صاحب عمامة " وسارع بالحصول للأمير "صدقة الأول بن منصور " على التقليد بولايته لإمارة بنى مزيد من السلطان ملكشاه[٣].

وقد أدرك الأمير "صدقة الأول بن منصور " أن المكاسب في ظل قوة السلاطين لا تتحقق إلا بطاعتهم، والتودد إليهم، لذلك أخذ يتابع زياراته للسلطان ملكشاه، وعندما توفي عام (٤٨٥ هـ / ١٠٩٢م) أخذ صدقة يتابع زياراته للسلطان بركياروق[٤]، الذي رفع من شأن الأمير "صدقة الأول بن منصور " واصطحبه معه في مواكبه[٥].

ولعلنا نلمس ما بين الأمير "صدقة الأول بن منصور "، وبين جده الأمير " دبيس الأول بن على " من تشابه في السياسة التي اتبعها كلٌ منهما والتي تقوم على اللعب

---

(١) ابن الأثير: الكامل،جـ ١٠، ص ٧٨؛ الأصفهانى: تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٥٠.

(٢) ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٨، ص ٢٣٣؛ ابن الأثير: الكامل،جـ ١٠، ص ١٢١.

(٣) ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٨، ص ٢٣٣؛ ابن الأثير: الكامل،جـ ١٠، ص ١٢١؛ الأصفهانى: تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٧٢؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ٥، ص ١١٤؛ ابن خلدون: العبر، جـ ٤، ص ٨٠ ؛ ابن أبى الدم الحموي: التاريخ المظفرى، مخطوط، بمعهد المخطوطات العربية، القاهرة، ميكروفيلم ٦٠٤، ص ١٨١.

(٤) ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٩، ص ٢٥؛ ابن الأثير: الكامل،جـ ١٠، ص ١٥٠؛ أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، جـ ٢، ص ١٨٩؛ ابن كثير: البداية و النهاية، جـ ٦، ص ٧٨؛ ابن خلدون: العبر، جـ ٤، ص ٨٠؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ ٥، ص ١٢٣.

(٥) ابن الأثير: الكامل،جـ ١٠، ص ١٢٦؛ أبى البقاء: المناقب المزيدية،جـ ٢، ص ٤٢٨ .

على الجواد الرابح من خلال استغلال ظروف العصر في سبيل الحصول على أكبر مكسب ممكن، وهو ما تجلى لنا بشكل واضح في المكاسب التي حققها الأمير "صدقة الأول بن منصور " أثناء الصراع بين السلطان بركياروق وأخيه محمد والمتمثلة في توسعات الإمارة على حساب الطرفين[١].

وقد اتبع صدقة سياسة ثابتة في التعامل مع صراعات آل سلجوق تتمثل في الميل إلى الطرف الذي يجنى من ورائه المكسب الأكبر، فعندما بدء الصراع بين السلطان بركياروق وبين أخيه محمد عام (٤٩٣هـ / ١٠٩٩م) ساند السلطان بركياروق بفرقة بقيادة ولده عز الدين بن صدقة، وشكلت تلك الفرقة جناحاً مهماً في ميمنة الجيش، وقد حقق السلطان بركياروق النصر في هذه الجولة، فسارع الأمير "صدقة الأول بن منصور " بإرسال التهنئة إليه[٢].

لكن لم يدم الود والصفاء بين الأمير "صدقة الأول بن منصور" والسلطان بركياروق، والسبب في ذلك حماقة الوزير أبو الأعز الداهستانى[٣] وزير السلطان بركياروق، الذي أرسل إلى الأمير "صدقة الأول بن منصور " يطلب منه مبلغ ألف ألف دينار، وهدده بانتزاع أملاكه إن لم يسرع بالأمر. وما كان لنفس الأمير "صدقة الأول بن منصور " الأبيه أن تقبل هذا التهديد بانتزاع أملاكه، لذلك كان رد الأمير "صدقة الأول بن منصور " هو قطع الخطبة للسلطان بركياروق في بلاده والتحول إلى ولاء المطالب بالعرش محمد بن ملكشاه[٤] ويرى أحد الباحثين أن تحول صدقة إلي مولاة محمد بن ملكشاه، لم يكن لمجرد مطالبة وزير بركياروق لصدقة بالمال

---

(١) راجع الفصل الأول، ص ص ٤٢-٥١.

(٢) ابن الأثير: الكامل،جـ ١٠، ص ٢٩٥، ٣٠٥.

(٣) الوزير الدهستانى: هو أبو المحاسن عبد الجليل الدهستانى، وزر للسلطان بركياروق، لكنه لم يكن مؤهلاً لهذا العمل الخطير، مما أدى إلى اتباعه لسياسة متخبطة زادت من كراهية الناس للسلطان وانتهت حياته بطعنة خنجر من أحد الباطنية عام (٤٩٥هـ / ١١٠١م) (ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٩، ص ١٣٢؛ ابن الأثير: الكامل،جـ ١٠، ص ٣٥٠؛ الأصفهانى: تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٢٨٧) .

(٤) ابن الأثير: الكامل،جـ ١٠، ص ٣٠٨؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ ٢٦، ص ٣٤٨؛ أبى البقاء المناقب المزيدية، جـ ٢، ص ٤٣٢؛ Bothworth: the Political dynastic history of the Iranian world 1000 – 1027 , of Cambridge history of Iran , vol15. Cambridge , 1985. P 110.

المتأخر عليه، ولكن خوفاً من ضياع ما حققه من توسعات أثناء انشغال السلطان عنه خاصة أنه صار الزعيم الأوحد لمنطقة جنوب الفرات[١].

ولعل الأمير "صدقة الأول بن منصور " لم يدفع هذه المتأخرات المالية على اعتبار أنها مقابل ما قدم من خدمات عسكرية للسلطان بركياروق، فلما طالب الوزير بالمال اعتبر الأمير "صدقة الأول بن منصور " أن ذلك أكثر مما يحتمله، فمال إلى جانب السلطان محمد بن ملكشاه، ولعل ما شجعه على ذلك ما علمه من تفرق الجند عن السلطان بركياروق بسبب نقص المؤن لضخامة عدد ما اجتمع حول السلطان بركياروق من الجنود، وفي المقابل التفافهم حول السلطان محمد بن ملكشاه[٢] . وأدرك السلطان بركياروق، الخطأ الفادح الذي وقع فيه وزيره الداهستانى، ومن ثم سعى إلى استرضاء الأمير "صدقة الأول بن منصور "، الذي رفض الرضى إلا أن يتسلم الوزير ليرى فيه رأيه، وما كان للسلطان أن يخضع لصدقة ويسلمه الوزير [٣].

في ذلك الوقت عقد السلطان محمد بن ملكشاه مع أخيه سنجر[٤] حلفاً مكنه من دخول بغداد عام (٤٩٥هـ / ١١٠١م) فسارع الأمير "صدقة الأول بن منصور " إلى استقباله معلناً ولاءه وخضوعه[٥] فقويت شوكة السلطان محمد به، و هو أمر زاد من خوف السلطان بركياروق الذي خشي هجوم الأمير "صدقة الأول بن منصور " عليه أثناء انسحابه من العراق عقب هزيمته أمام السلطان محمد بن ملكشاه، وبالتالي اتخذ إجراءات وقائية تحسباً للأمر[٦].

كما قدم الأمير "صدقة الأول بن منصور " للسلطان محمد بن ملكشاه خدمات

---

(١) عبد المجيد أبو الفتوح: علاقات بني مزيد، ص ١٨٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل،جـ ١٠، ص ٣٠٦، ٣٠٧ .

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٣٨؛ ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٩، ص ١٢٤؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر، جـ ٤، ص ٢٨٠.

(٤) سنجر: هو سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان، و لد عام (٤٧١هـ / ١٠٨٧م) وتوفي عام (٥٥٢هـ / ١١٥٧م) طمع في منصب السلطنة بعد وفاة السلطان محمد بن ملكشاه عام (٥١١هـ / ١١١٧م) وأجبر السلطان محمود بن محمد على الاعتراف به سلطاناً أعظم على جميع السلاجقة، (الأصفهانى: تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١٢٠، ١٢٨؛ ابن الأثير: الكامل،جـ ١٠، ص ٥٤٨ – ٥٥٣).

(٥) ابن الأثير: الكامل،جـ ١٠، ص ٣١٠ .

(٦) نفسه، جـ١٠، ص ٣٣٠.

جليلة من أبرزها محافظته على بغداد لتبقى في يد إيلغازى بن أرتق، الذي كلفه السلطان محمد بن ملكشاه بالدفاع عن المدينة، حين أرسل السلطان بركياروق قوة عسكرية لانتزاعها من إيلغازى الذي سارع بالهروب لعدم توافر قوة عسكرية كافية لديه، ثم أرسل إلى الأمير صدقة يطلب عونه، فسارع صدقة بالمسير إلى بغداد، و استخدم أسلوب الأرض المحروقة بتدمير عدد من ضواحي بغداد في وقت تقدم فيه إيلغازى وسقمان ابنى أرتق[١] وضيقوا على شحنة[٢] السلطان بركياروق في بغداد المسمى بكمشتكين القيصري [٣] وهو ما دفع الخليفة العباسي المستظهر إلى التدخل لإنهاء القتال، وتم الاتفاق على خروج القيصري من بغداد وبقائها في يد إيلغازى بن أرتق شحنة السلطان محمد بن ملكشاه[٤].

هذا النشاط الملحوظ من قبل الأمير "صدقة الأول بن منصور"مكنه من تحقيق عدة مكاسب نظير مساندته للسلطان محمد بن ملكشاه[٥] وما كان لصدقة أن يحقق تلك المكاسب لو ظلت أمور السلطنة مستقرة لذلك كان من الطبعي أن يقف الأمير "صدقة الأول بن منصور " أمام كل محاولة للصلح بين الأخوين السلطان بركياروق والسلطان محمد بن ملكشاه ومع ذلك تمكن الأخوان من عقد الصلح بينهما[٦].

ولم يكن من المنتظر أن يسكت الأمير "صدقة الأول بن منصور " على اتفاقاً يقف عائقاً أمام تحقيق أطماعه التي لا تتحقق إلا في أوقات صراعات السلاطين،شأنه في ذلك شأن القوي الطفيلية التي لا تعيش إلا في ظل صراعات القوى الكبرى؛ لذلك رفض الصلح وأرسل إلى الخليفة المستظهر يطالبه بمنع إيلغازى بن أرتق من الخطبة

---

(١) عن سقمان بن أرتق راجع الفصل الثالث، ص ١٨١ وما بعدها.

(٢) عن الشحنة راجع الفصل الأول، ص ٤٤، حاشية ٢.

(٣) عن كمشتكين القيصري راجع الفصل الأول، ص ٤٤، حاشية ١.

(٤) ابن الأثير: الكامل،جـ ١٠، ص ص ٣٥٥، ٣٥٧.

(٥) حول مكاسب الأمير "صدقة الأول بن منصور " نتيجة الصراع بين السلطان محمد و السلطان بركياروق راجع الفصل الأول، ص ص ٤٢-٥٠.

(٦) في عام (٤٩٧هـ / ١١٠٣م) تم الصلح بين الأخوين محمد و بركياروق ابنى ملكشاه و تقرر بينهما أن لا يتعرض السلطان بركياروق لأملاك أخيه محمد و لا يلتزم محمد بذكر اسم بركياروق على المنابر في المدن التابعة له، و أن المكاتبات بينهما تكون عن طريق الوزراء، و تكون أملاك السلطان محمد بن ملكشاه من ديار بكر و الجزيرة و الشام و من العراق بلاد بنى مزيد (ابن الأثير: الكامل،جـ ١٠، ص ٣٧٠) .

للسلطان بركياروق في بغداد بعد تحوله إلى مولاة السلطان بركياروق، غير أن إيلغازى أرسل إلى الأمير "صدقة الأول بن منصور" مبيناً له سبب التحول في الولاء بأن معظم أملاكه وإقطاعاته في يد السلطان بركياروق، فقبل صدقة عذره ورضخ للأمر الواقع لعلمه بعدم قدرته على محاربة السلاطين السلاجقة[١].

و لسوء حظ صدقة لم يعمر السلطان بركياروق بعد الصلح مع أخيه السلطان محمد بن ملكشاه فقد توفي عام (٤٩٨هـ / ١١٠١م)[٢]. وهنا سارع اتباع السلطان بركياروق بالخطبة لولده في بغداد، فوجدها الأمير "صدقة الأول بن منصور " فرصة لتذكير السلطان محمد بن ملكشاه أنه ما زال لديه ما يقدمه، وبالفعل أرسل إلي السلطان يطلب سرعة حضوره إلى بغداد، وحتى يشعره بشدة ولاءه أرسل إليه ولديه بدران ودبيس يطلبان منه سرعة العودة إلى بغداد، كما أعد صدقة خمسة عشر ألف من الجنود المشاة دخل بهم إلى بغداد مناصراً للسلطان محمد، الذي أسرع ولحق بجيش صدقة، وقبض على زمام الأمور بها وانفرد بمنصب السلطنة. وعندما ذهب صدقة لتهنئة السلطان، سارع السلطان بالخروج لاستقباله بنفسه تكريماً له[٣]. وفي ظل تلك الخدمات صار صدقة من أصفياء السلطان محمد بن ملكشاه يدعوه للأسمطة التي يدعى إليها، ويستفيد من قوته العسكرية عند الحاجة[٤].

وفي غمرة قوة ونفوذ الأمير "صدقة الأول بن منصور " نسى أنه مجرد تابع، وهو ما دفعه إلى التوسع دون إذن السلطان محمد، وتوج ذلك بالاستيلاء على تكريت[٥]، وهو ما دفع السلطان إلى وضع حد لنفوذ صدقة المتنامي، لكنه لم يقم بالأمر دفعة واحدة، حتى لا ينفر منه من قدموا له خدمات من أمراء العرب، لكنه أخذ يبحث عن مبرراً وجيهاً للقضاء علي الأمير صدقة.

---

(١) نفسه، ص ٣٧٢.

(٢) ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٩، ص ٤٤١؛ ابن الأثير: الكامل،جـ ١٠، ص ٣٨٠ .

(٣) ابـن الأثيـر: الكامـل، جــ١٠، ص ص ٣٧٤، ٣٧٨، النـويرى: نهايـة الأرب، جــ ٢٦، ص ٣٥٧؛ ابـن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ١٤٧.

(٤) ابن الأثير: الكامل،جـ ١٠، ص ٣٨٨؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ ٢٦، ص ٢٥٩، ٢٦٠ .

(٥) حول الاستيلاء على تكريت راجع الفصل الأول ص ٤٨.

في ذلك الوقت فر إلى الأمير "صدقة الأول بن منصور " أحد القادة الأتراك وهو سرخاب بن كيخسرو الديلمى[١] مستجيراً به من بطش السلطان محمد بن ملكشاه ؛ لجرم ارتكبه، ومع تمسك الأمير "صدقة الأول بن منصور " بالتقاليد العربية المتمثلة في الإجارة رفض تسليم سرخاب[٢] مما أدي إلي المواجهه بين السلطان محمد وبين الأمير صدقة الأول، وقد ساعد على ذلك كثرة الوشاة الذين ركزوا على أمرين، أولهما زيادة نفوذ صدقة وطمعه في تحقيق مكاسب على حساب السلطان في مقابل الخدمات التي يقوم بها له، أما الأمر الآخر فهو اتهام صدقة في عقيدته باعتناق مذهب الباطنية، وهو أمر نفاه ابن الأثير بشدة مؤكداً تشيع صدقة على المذهب الإمامي لا غير[٣] و يضيف جروسيه Grousset[٤] أمر ثالث إلى الأمرين السابقين و هو تقاعس الأمير "صدقة الأول بن منصور " عن قتال الصليبيين حين رفض معاونة الأمير مودود [٥] في قتالهم [٦].

ومهما يكن من أمر فإن إيواء صدقة لسرخاب كان القشة التي قصمت ظهر البعير [٧]. فقد ظهر الأمير "صدقة الأول بن منصور " بمظهر الحاكم القوى الساعي إلى مناطحة السلطة المركزية، أو على الأقل الساعي إلى الاستقلال التام عنها، وهو أمر ما كان للسلطان محمد أن يقبله بعد أن تخلص من معظم مشاكله واستقر له عرش

---

(١) سرخاب الديلمى: كان أميراً لمدينة ساوه إحدى مدن فارس، فغضب عليه السلطان محمد لعصيانه ففر إلى صدقة و كان سبباً مباشراً للمواجهة بين صدقة والسلطان محمد بن ملكشاه (ابن الجوزى: المنتظم، جـ٩، ص ١٥٧؛ ابن الأثير: الكامل،جـ ١٠، ص ٤٤١ .

(٢) ابن الأثير: الكامل،جـ ١٠، ص ٤٤٠؛ الصفدى: الوافي بالوفيات، جـ ٦، ص ٢٥٩، ٢٦٠؛ Bothworth: the Political dynasties , P 115.

(٣) ابن الأثير: الكامل،جـ ١٠، ص ٤٢٥ .

(٤) Grousset: History de crusades, Vol. I , Paris , 1934 , P. 518 , 519.

(٥) مودود: هو مودود بن التوتكين المكنى بشرف الدين، كان قائداً تركياً من قواد السلطان محمد بن ملكشاه (ابن الأثير: الكامل،جـ ١٠، ص ٤٢٢؛ ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص ١٧٤

(٦) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ٣٤٥.

(٧) ابن الأثير: الكامل،جـ ١٠، ص ٤٤١؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ ٢٦، ص ٣٥٦؛ الصفدى: الوافي بالوفيات، جـ ١٦؛ ص ٢٩٨.

السلاجقة، وتفرغ للنظر في شأن القوى الصاعدة المتنامية[١] و يرى جروسيه [٢] أن الصدام بين الأمير "صدقة الأول بن منصور " والسلطان محمد بن ملكشاه هو صدام بين العرب والترك قبل أن يكون تصفية لحسابات قديمة بين السلطان وتابعه الساعي إلى التوسع. ورغم ما في رأي جروسيه من وجاهه خاصة أن جيش صدقة تكون من العرب في معظمه، بينما تكون جيش السلطان محمد من الأتراك، إلا أن الأمر لا يعدو أن يكون رغبة من السلطان محمد بن ملكشاه في التخلص من الكيانات الصغيرة الطفيلية التي نمت في مستنقع الصراع بين أفراد البيت السلجوقى لا غير.

وأمام زيادة صلف الأمير "صدقة الأول بن منصور" سارع السلطان محمد بن ملكشاه إلى العراق و أرسل إلى جهات دولته يطلب الجند، فاجتمع لديه عدد كبير منهم و مع احتدام الصراع، تقدم السلطان محمد بن ملكشاه نحو بغداد، هنا قام الأمير "صدقة الأول بن منصور" بحشد جيش الإمارة و المحالفين له، ومع ذلك لم ينفرد صدقة بالقرار بل عقد مجلساً عسكرياً ضمه وولده دبيس وسعيد بن حميد[٣] القائد العام لجيش الإمارة وكبار قادة الجيش. و في الاجتماع اقترح دبيس ملاينة السلطان واسترضائه وعدم تصعيد الموقف، في حين رفض سعيد بن حميد ذلك وصمم على القتال معتمداً على العدد الضخم من الجيش الذي اجتمع مع صدقة والذي تكون من عشرين ألف فارس، و ثلاثين ألف راجل، في حين أن قوة السلطان حال وصوله لبغداد لم تتعد بضع مئات من الجنود[٤].

ولعل ما شجع الأمير "صدقة الأول بن منصور " على المضي في غيه ما وصله من رسائل من قبل جاولى سقاوو[٥] و إيلغازى بن أرتق، يحضانه على المضى في

---

(١) عبد المجيد أبو الفتوح: علاقات بني مزيد، ص ١٩٠.

(٢) Grousset , op cit , P 519.

(٣) عن سعيد بن حميد راجع الفصل الأول ص ٥١، حاشية ٢ ٠

(٤) ابن الأثير: الكامل،جـ ١٠، ص ٤٤٢؛ النويرى: نهاية الأرب، جـ ٢٦، ص ٣٦٥، ابن خلدون: العبر، جـ٤، ص ٢٨٣.

(٥) جاولى سقاوو: هو أحد القادة الأتراك، أرسله السلطان محمد للاستيلاء على الموصل عام (٥٠٠هـ / ١١٠٦م) عقب الصلح مع السلطان بركياروق، غير لأن جاولى طمع في الاستقلال بالمدينة، و تحالف مع إيلغازى بن أرتق ضد السلطان (ابن الأثير: الكامل،جـ ١٠، ص ٤٣٠، ٤٤٣).

الوقوف أمام السلطان، وأنهما سوف يساعدانه ما استطاعا[١] ويرى البعض أن تلك الوعود كانت وعوداً زائفة سعياً من ورائها إلى فتح جبهة جديدة على السلطان حتى ينشغل عنهما ويتمكنا من تحقيق مزيد من المكاسب في ظل انشغاله بصدقة[٢].

وأمام ضخامة حشد صدقة سارع السلطان محمد بن ملكشاه بطلب الجيوش من أقاليم دولته التي أخذت تتوافد عليه حتى أكتمل لديه جيش كبير[٣] وفي ذلك الوقت بزل الخليفة المستظهر جهداً كبيراً لإتمام الصلح بين الطرفين، وكاد هذا الصلح أن يتم لولا رعونة بعض جند السلطان الذين هاجموا جيش صدقة، الذي سارع بالرد فسحق هذه الفرقة عن آخرها بين قتيل وأسير، وهو ما زاد الأمر تأزماً وأصبح الصلح أمراً مستحيلاً[٤].

ويبدو أن الأمير "صدقة الأول بن منصور " كان واثقاً من جيشه، فأخذ يملى شروطه على السلطان، وأهمها أن يصدق السلطان محمد بن ملكشاه على مبدأ حق الجوار[٥]، كما طلب العفو عن سرخاب الديلمى وتمكينه من بلاده، كما طلب استرداد ما نزع من أملاكه خاصة مدينة واسط[٦] و لم يكتف بذلك بل طلب من السلطان أن يحلف أمام الخليفة على الوفاء بما تعاهدا عليه[٧].

ويبدو أن السلطان لم يكن يهدف من وراء المفاوضات مع صدقة سوى استكمال استعداداته للقتال، فما أن تم له ذلك حتى تقدم نحو أمـــلاك صدقة وعسكر قرب مدينة النعمانية[٨] وعندها دارت معركة حامية انتصر فيها السلطان. وهناك عدة عوامل

---

(١) ابن الأثير: الكامل،جـ ١٠، ص ٤٤٢؛ ٤٤٣؛ النويرى نهاية الأرب، جـ ٢٦، ص ٣١٥؛ ابن خلدون: العبر، جـ ٤، ص ٢٨٤؛ Bothworth: The Political, P.115 , Lampton: the internal Structure of saljaq Empire , in Cambridge history of Iran , P241.

(٢) عبد المجيد أبو الفتوح: علاقات بني مزيد، ص ١٩٣.

(٣) ابن الأثير: الكامل،جـ ١٠، ص ٤٤٧ .

(٤) نفسه، ص ٤٤٤، ٤٤٥.

(٥) عن مبدأ الجوار راجع الفصل الرابع من الرسالة، ص ٢٢٥ .

(٦) عن انتزاع أملاك صدقة في حياته، راجع الفصل الأول ص ٥٠ .

(٧) ابن الأثير: الكامل،جـ ١٠، ص ٤٤٧.

(٨) عن مدينة النعمانية، راجع الفصل الأول، ص ٧.

وقفت وراء انتصار السلطان أهمها استخدام جيش السلطان لأسلوب رشقات النشاب التي يطلق فيها عشرة آلاف نشابة كل دفعة بصورة متتابعة، وساعد على فعالية هذه الطريقة أن الرياح كانت تهب في وجوه جند صدقة، وبالتالي كانت الضربات بالغة الأثر، ويضاف إلى أسلوب القتال، طبيعة الأرض، فقد أجبر الأمير "صدقة الأول بن منصور " على الوقوف بجيشه في أرض طينية وحلة مما أعاق حركة مشاته وفرسانه، هذا بالإضافة إلى تقاعس جند بنى خفاجة وبنى عبادة[١] بشكل واضح. ورغم ثبات جند صدقة من الأكراد إلا أن ذلك لم يجد، وقد حسم الأمر بمصرع صدقة وقطع رأسه وحملها إلى السلطان، هذا وقد اتفقت معظم المصادر على أن المعركة كانت يوم الجمعة التاسع عشر من رجب (٥٠١هـ / ١١٠٧م)[٢].

وعقب مصرع الأمير "صدقة الأول بن منصور " وزع السلطان محمد أملاك بني مزيد بين نوابه[٣] ورغم نهاية حياة صدقة إلا أن السلطان كان مدركاً أن لبنى أسد وجوداً قوياً في جنوب العراق، لذلك اكتفي بوضع الأمير " دبيس الثاني بن صدقة" ولى عهد أبيه رهن الاحتجاز في بغداد حتى عام (٥١٢ هـ / ١١١٨م) حين أعاده السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه إلى إمارته[٤].

هكذا كانت العلاقات بين السلاجقة و بين بنى مزيد، فقد قامت هذه العلاقات على أساس طاعة السلاطين السلاجقة حال قوتهم ووحدة دولتهم، وقد جنى بنو مزيد من

---

(١) عن بنى خفاجة راجع الفصل الأول، ص ٣٧

(٢) ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٩، ص ١٥٦؛ ابن الأثير: الكامل،جـ ١٠، ص ٤٤٨؛ ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ١٥٩؛ سبط بن الجوزى: مرآة الزمان، جـ ٨، قسم ١، ص ٢٥؛ النويرى: نهاية الأرب في فنون الأدب، جـ ٢٦؛ ص ٣٦٨؛ الأصفهانى: تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٩٨؛ أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، جـ ٢، ص ٢٢٢؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر، جـ ٣، ص ١؛ الصفدى: الوافي بالوفيات، جـ ١٦، ص ٢٩٨؛ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ٦، ص ٦٦٦؛ ابن خلدون العبر، جـ ٤، ص ٢٨٤؛ العماد الحنبلي: شذرات الذهب، جـ ٤، ص ٥٤٧؛ ابن أبى الدم: التاريخ المظفرى، ميكروفيلم ٦٠٤ تاريخ، معهد المخطوطات العربية، ص ١٨٥؛ صدر الدين الحسيني: أخبار دولة آل سلجوق، تصحيح محمد إقبال، لاهور، ١٩٣٣، ص ٧٠، عباس إقبال: الوزارة في العهد السلجوقى، ص ٢٣٦ , Grousset:Op. cit.,P 519
Bothworth:Op.cit ,P115,C F Islamic dynasties , P. 52.

(٣) ابن الأثير: الكامل،جـ ١٠، ص ٤٤٨.

(٤) الأصفهانى: تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١١٥.

وراء هذه الطاعة اعتراف السلاجقة بوجودهم واستخدامهم عند الحاجة إليهم. ومع تمزق السلطنة السلجوقية واندلاع الحرب الأهلية بينهم، مالوا إلى الطرف الأقوى، وقد نجم عن ذلك توسع الإمارة حتى بلغت أقصى اتساعها مع نهاية الحرب الأهلية السلجوقية، إلا أن بنى مزيد بقيادة الأمير "صدقة الأول بن منصور " لم يكن لديهم المرونة الكافية بما يتناسب مع المتغير الجديد، الذي استلزم استرضاء السلطان محمد بن ملكشاه بعد أن انفرد بالحكم و لقب السلطان، لكن غرور العظمة سيطر على الأمير صدقة فأودى بحياته.

بنو مزيد و القبائل العربية:

كان من الطبعي أن تتصل إمارة بنى مزيد بالقوى المحلية العراقية العربية المعاصرة لها، ورغم تشابك علاقات بنى مزيد مع هذه القوى مع علاقاتها بالخلافة العباسية ومن تغلب عليها، إلا أن علاقات الإمارة مع هذه القوى العربية، كان لها ما يميزها، ويجعلها جديرة بأن تدرس منفردة.

ومن أبرز القوى العربية التي عاصرت بنى مزيد بنى خفاجة، وهم إحدى بطون بنى عقيل، الذين سكنوا في الجاهلية شرقي يثرب – المدينة المنورة – و بسبب حروبهم مع بنى حنيفة[١] توغلوا شرقاً في قلب الجزيرة العربية، و في القرن الرابع الهجري / الحادي عشر الميلادي تقدموا شمالاً و استقروا في بادية العراق، و توغلوا نحو سواد العراق بصورة تدريجية وتمكن زعيمهم طريف الخفاجى[٢] من الحصول على ولاية الكوفة عام (٣٧٤هـ /٩٨٤م)[٣].

والجدير بالذكر أن علاقة بنى مزيد ببنى خفاجة لم تسر على وتيرة واحدة، ففي

---

(١) حنيفة: بفتح الحاء و النون، نسبة إلى حنيفة، و هي قبيلة كثيرة من ربيعية بن نزار، نزلوا اليمامة و هم من بنى أسد بن ربيعية (أبن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، جـ ١، القاهرة، ١٣٥٧هـ، ص ٣٢٥).

(٢) طريف الخفاجى: هو أول من برز من زعماء بنى خفاجة، ظلت له السيادة عليهم، بين عامي (٣٧٤ – ٣٩٠هـ / ٩٨٤ – ٩٩٩ م) (ابن الأثير: الكامل،جـ ٩، ص ٣٩؛ محمد عبد المنعم خفاجى: الخفاجيون في التاريخ، القاهرة، ١٩٥٧، ص ٧٣) .

(٣) ابن الأثير: الكامل،جـ ٩، ص ٣٩؛ محمد الخفاجى: الخفاجيون، ص ٧٣؛ دائرة المعارف الإسلامية، جـ ٨، ص ٣٩٣ .

ظل وجود القوتين متجاورتين كان من الطبعي أن يتنافسا للسيطرة على الأرض في جنوب العراق ورغم ذلك كثيراً ما كانت الروح العربية تتغلب، فيتدخل بنو مزيد لإنقاذهم من خطر داهمهم، أو يتقدم بنو خفاجة بالمساعدة العسكرية لبنى مزيد إذا ما احتاجوا إليهم خاصة إذا توقعوا غنائم وفيرة من وراء هذه المساعدة.

ففي عام (٤٠٢ هـ / ١٠١١م) عاث بنو خفاجة فساداً في نواحي الأنبار أثناء سيرهم مع القائد البويهي ذي السعادتين[١] لانتزاع الأنبار من يد بنى عقيل، بأمر من الوزير البويهي فخر الملك [٢] وتغلبت عادة السلب والنهب عليهم، فعاثوا فساداً في نواحي الأنبار وقام ذو السعادتين بالقبض على عدد من زعمائهم كي يكسر من عاديتهم ويجبرهم على العودة إلى جادة الصواب، وإمعاناً في ذلك قتل بعض منهم، لكن الأمير" على بن مزيد" تدخل وبذل المال حتى أطلق أسرى بنى خفاجة [٣] ولا نجد تفسيراً لهذا التدخل إلا أن يكون رغبة من "الأمير على بن مزيد" في إثبات زعامته لعرب العراق.

لكن "الأمير على بن مزيد" لم يكن يتردد في تنفيذ أوامر المتغلب البويهي، خاصة إذا اشتط بنو خفاجة في أعمال السلب و النهب مثلما حدث عام (٤٠٢هـ / ١٠١١م) حين هاجم بنو خفاجة قوافل الحجاج فأمر الوزير فخر الملك بتأديب بنى خفاجة، فسار إليهم الأمير "على بن مزيد" وأنقذ منهم الأموال ومن بقى على قيد الحياة من الحجاج[٤].

ولم يشأ بنو مزيد البقاء في وضع العداء مع بنى خفاجة، لذلك أوجدوا سبلاً للتصالح خاصة أن بنى خفاجة منتشرون في الصحراء المجاورة لسواد العراق، و فضل الأمير " دبيس الأول بن على " الاستفادة من وجودهم لتحقيق بعض المكاسب، فقام في سنة (٤١٧هـ / ١٠٢٦م) بإجابة نداء من بنى خفاجة لمساعدتهم ضد قرواش

---

(١) ذو السعادتين: هو الحسن بن منصور أحد قادة بهاء الدولة البويهي (ابن الأثير: الكامل، جـ ٩، ص ٣٩.

(٢) عن الوزير فخر الملك راجع الفصل الأول ص ٢٥ حاشية ٣. .

(٣) ابن الأثير: الكامل،جـ ٩، ص ٢٣٥؛ كركوش: تاريخ الحلة، جـ ١، ص ١٠؛ محمد الخفاجى: الخفاجيون، ص ٧٤ .

(٤) ابن الأثير: الكامل،جـ ٩، ص ٢٣٦؛ محمد الخفاجى: الخفاجيون، ص ٥٧ .

العقيلى الذي سار إليهم لعقابهم على نهبهم الكوفة، فسار دبيس إليهم وجاءهم عون بغداد، فأدرك قرواش أن لا طاقة له بهذه الجموع، فسار إلى الأنبار فتبعوه واستولوا عليها[١] ولا يخفي علينا سبب إجابة دبيس للنداء، وهو رغبته في إنهاء الوجود العقيلى في جنوب العراق حتى تبقى إمارة بنى مزيد هي القوة الوحيدة في المنطقة وفي إطار هذا التعاون المتبادل ساند بنو خفاجة الأمير دبيس الأول في صراعه مع أخيه ثابت[٢] عام (٤٢٥هـ / ١٠٣٣م)، و كان لهم دور في الصلح الذي تم بينهم [٣]، ورغم ذلك لم يستمر التعاون بين الطرفين، وسرعان ما عاد إلى بنى خفاجة حبهم للنهب والسلب فهاجموا مدينة الجامعين مرة أخرى عام (٤٤٦هـ / ١٠٥٤م)، وأمام ضراوة هجومهم، سارع الأمير " دبيس الأول بن على " إلى طلب العون من البساسيرى، وتقدم مطارداً إياهم وأجلاهم عن سواد الكوفة،وسار ورائهم في دروب الصحراء، حتى أدركهم عند حصن خفان، وهو أول الحصون على طريق البادية ففتك بهم ونهب أموالهم و عبيدهم، ثم جمع الأسرى و أرسلهم إلى بغداد للتشهير بهم[٤].

كان لهذه الحادثة أثراً بالغاً في كسر شوكة بنى خفاجة، ومن ثم ظل بنو مزيد على حذر منهم، حتى استغل الأمير صدقة الأول صراعهم مع قبيلة عبادة ودمرهم عام (٥٠٠هـ / ١١٠٦م) حتى لم تقم لهم قائمة بعد ذلك[٥] وهاموا على وجوههم في الصحراء المجاورة لسواد العراق[٦].

أما القبيلة العربية الثانية التي عاصرت بنى مزيد ومثلت تحدياً حقيقياً لهم، فهي قبيلة بنى عقيل، وهي من بين القبائل التي نزحت من الجزيرة العربية في ظل ظروف اقتصادية قاسية، وقد انتقل بنو عقيل من قلب الجزيرة العربية إلى البحرين، ثم

---

(١) ابن الأثير: الكامل،جـ ٩، ص ٣٥٢؛ خاشع المعاضيدى: دولة بنى عقيل، ص ١٢٩ .

(٢) لمزيد من التفاصيل راجع ص ٨٥.

(٣) ابن الأثير: الكامل،جـ ٩، ص ٤٣٦؛ ابن خلدون: العبر، جـ ٤، ص ٣٥٩؛ محمد الخفاجى: المرجع السابق ص ٧٧؛ دائرة المعارف الإسلامية، جـ ٨، ص ٣١٥ .

(٤) ابن الأثير: الكامل،جـ ١٠، ص ٣٤٦؛ محمد الخفاجى: الخفاجيون، ص ٨٧؛ دائرة المعارف الإسلامية، جـ ٨، ص ٣٩٥.

(٥) ابن الأثير: الكامل،جـ ١٠، ص ٥٩٩، ٦٠٠؛ محمد الخفاجى: الخفاجيون، ص ٨٤، ٨٥

(٦) دائرة المعارف الإسلامية، جـ ٨، ص ٣٩٥.

اضطروا إلى الرحيل إلى العراق، وأصبحوا من رعايا بنى حمدان في الموصل حتى (٣٨٠هـ / ٩٩٠م) و لما ضعف شأن بنى حمدان طمع الأمير محمد بن المسيب العقيلي في ملك الموصل، وتمكن منها؛ لذلك يعد عام (٣٨٠هـ / ٩٩٠م) هو عام قيام إمارة بنى عقيل[١].

وقد كانت قبيلة بنى عقيل أشد خطراً على إمارة بنى مزيد من بنى خفاجة، ومرجع ذلك إلى أن بنى عقيل كانوا قوة معترف بها حال تكون إمارة بنى مزيد، كما أن نفوذها امتد إلى منطقة جنوب الفرات[٢] و بالتالي كان ظهور قوة بنى مزيد مهدداً لوجود بنى عقيل في جنوب العراق بالضرورة.

ورغم ما بين بنى مزيد وبنى عقيل من تنافس إلا أن ذلك لم يمنع مساندة بنى مزيد لبنى عقيل في صراعهم مع أبو جعفر الحجاج - القائد البويهي – عام (٣٩٢هـ / ١٠٠١م)[٣] ولعل هذه الحادثة من الغرائب فكيف يتحالف المتنافسان؟ ويمكن تفسير ذلك بإحساس كلا الفريقين بخطر مشترك من جانب السلطة البويهية الساعية إلى القضاء علي كلتيهما.

ويبدو أن تأصل العروبة في نفوس أمراء بنى مزيد لم تمنعهم من مد يد المساعدة لبنى عقيل المنافسين لهم حين استنجدوا بهم، عندما أرسل الفاطميون جيشاً لتأديب قرواش العقيلى الذي تحول عن ولائهم ورغم استنجاد قرواش بأكثر من قوة إلا أن بنى مزيد وحدهم دون غيرهم قدموا لهم العون وصدوا الهجوم الفاطمي[٤].

ومن الجدير بالذكر أن بنى عقيل قد تقلبوا في ولائهم المذهبي بين الفاطميين الشيعة والعباسيين السنة، ويبدو أن قضية المذهب لدى بنى عقيل كانت أمراً نفعياً بحتاً

---

(١) خاشع المعاضيدى: دولة بنى عقيل، ص ٢٧.

(٢) ابن الأثير: الكامل،جـ ٩، ص ٢٢٣؛ الروذراورى: ذيل تجارب الأمم، ص ٢٨٣، ٢٨٤؛ القلقشندى: صبح الأعشى في صناعة الانشا، جـ ١٠، ص ٢٦٢، ٢٦٣.

(٣) ابن الأثير: الكامل،جـ ٩، ص ١٧٠، ١٧١؛ ابن خلدون: العبر، جـ ٤، ص ٥٥٠؛ خاشع المعاضيدى: دولة بنى عقيل، ص ١٢٧، ١٢٨.

(٤) ابن شاكر الكتبى: فوات الوفيات، جـ ٣، تحقيق د.إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، بدون تاريخ، ص ١٩٨؛ خاشع المعاضيدى: دولة بنى عقيل، ص ٨٧.

لا شأن له بالاعتقاد الديني، فقد سلك بنو عقيل شأنهم شأن القوى الصغيرة مسلكاً يقوم على الميل إلى الطرف الذي يحصدون من ورائه أرباحاً أكثر [١].

ومهما يكن من أمر فإن رباط العربية لدي بنى مزيد لم يمنعهم من الرضوخ لمطالب السلطة البويهية بالتصدي العسكري لبنى عقيل، كما حدث عام (٤١١هـ / ١٠٢٠م) ولعل الأمير " دبيس الأول بن على " لم يكن يستطيع الرفض، خاصة في ظل ظهور الأمير قرواش العقيلى بمظهر المعتدى على أملاك البويهيين، ومن ثم سار دبيس بن مزيد يعاونه الأمير غريب بن مقن لصد هجوم بنى عقيل على سامرا كما تمكنا من انتزاع مدينة تكريت من أيديهم أيضاً[٢].

ورغم ما حدث لم يجد الأمير قرواش بد من طلب عون بنى مزيد حين هاجمه السلاجقة وانتزعوا منه مدينة الموصل عام (٤٢٠هـ / ١٠٢٩م) فسارع الأمير " دبيس الأول بن على " بالمسير إليه على رأس جيش كبير من بنى أسد، وتمكنا معاً من طرد السلاجقة من الموصل[٣].

وفي عام (٤٧٧هـ / ١٠٨٤م) شب صراع على مدينة آمد[٤] بين بنى مروان بقيادة ناصر الدولة وبين فخر الدولة بن جهير – أمير ديار بكر – الذي أرسل إليه تعزيزات من بنى مزيد، ومن السلاجقة بقيادة الأمير أرتق التركماني جد الملوك الأراتقة[٥] في حين طلب ناصر الدولة المروانى معاونة شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلى[٦] مقابل منحه مدينة آمد، ولما رأي الوزير بن جهير كثرة من اجتمع من العرب لدى الجانبين آثر حقن الدماء، وهو أمر لم يرضه التركمان، فهاجموا خيام بنى

---

(١) الروذراورى: ذيل تجارب الأمم، ص ٢٨٣؛ ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٧، ص ٢٤٨؛ ابن الأثير: الكامل،جـ ٩، ص ١٢٥، ٢٢٣ .

(٢) ابن الأثير: الكامل،جـ ٩، ص ٣٢١، ٣٢٢ .

(٣) نفسه، ص ٣٨٧ – ٣٩١؛ أرشيد يوسف: سلاجقة الشام و الجزيرة، ص ٤١ .

(١) آمد: مدينة تقع غربي دجلة ضمن ديار بكر (أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٣٨٧)

(٥) عن الأراتقة راجع الفصل الثالث، ص ١٨١ .

(٦) مسلم بن قريش: خلف و الده قريش بن المقلد العقيلى، في إمارة بنى عقيل في الفترة الممتدة بين عامي (٤٥٣ – ٤٧٨هـ / ١٠٦١ – ١٠٨٥م) واتسع ملكه حتى شمل الموصل، وديار بكر، و الجزيرة وحلب (خاشع المعاضيدى: دولة بنى عقيل، ص ٥٩).

عقيل، وحاصروهم دون علم بن جهير، وقد تمكن مسلم بن قريش من الفرار برشوة أرتق، الذي أفسح له حتى هرب بنفسه، أما من وقع من بنى عقيل في الأسر فقد أسرع الأمير صدقة بن منصور بدفع الأموال وفك أسر الأسرى من بنى عقيل ونسائهم وأولادهم، وهو ما عده الشعراء أمراً عظيماً، فأكثروا من مدح صدقة [١].

وفي ظل هذه الروح الطيبة بين بنى مزيد وبنى عقيل، لم يجد الأمير على بن مسلم بن قريش ملجأ يلجأ إليه بعد استيلاء السلاجقة على الموصل عام (٤٨٩هـ / ١٠٩٦م) – إيذاناً بنهاية إمارة بنى عقيل - سوى الأمير صدقة بن منصور، الذي رحب به و أحسن استقباله و بالغ في إكرامه[٢].

وإلى جانب بنى عقيل وبنى خفاجة، وجدت عدة عشائر عربية جاورت بنى مزيد مثل قبيلة عبادة، وهى إحدى عشائر العقليين الذين استقروا في المنطقة الممتدة بين الكوفة وواسط[٣]، ومن الواضح أنهم كانوا محالفين لبنى مزيد، وأكثر ولاء لهم من بنى خفاجة وهو ما دفع الأمير "صدقة الأول بن منصور " إلى تقديم العون لبنى عبادة ضد بنى خفاجة المشاغبين، بجيش بقيادة بدران بن صدقة، الذي ساعد بنى عبادة حتى انتصروا وزاد على ذلك منحهم أموال بنى خفاجة تعويضاً لهم، وكان ذلك في عام (٥٠٠ هـ / ١١٠٦م)[٤].

كما وجدت عشيرة بنى المنتفق وهم أيضاً إحدى عشائر بنى عقيل، استقروا في بادية العراق المجاورة للسواد قرب البصرة[٥] وقد حالفوا بنى مزيد، وقدموا العون لهم في مناسبات عديدة أهمها مساندتهم للأمير دبيس بن صدقة – حين فر من الخليفة

---

(١) ابن الأثير: الكامل،جـ ١٠، ص ١٣٥؛ أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، جـ ٢، ص ٢٠٤؛ أبى البقاء: المناقب المزيدية، جـ ٢، ص ٤٥٥، و قد جانب أبى البقاء الصواب في تحديد تاريخ هذه الحادثة فقد جعلها عام (٤٩٨ هـ / ١١٠٤م) و هذا التاريخ جاء بعد نهاية إمارة بنى عقيل بعشرة أعوام.

(٢) ابن الأثير: الكامل،جـ ١٠، ص ٢٥٩؛ أبى البقاء: المناقب المزيدية، جـ ٢، ص ٥١١ .

(٣) ابن خلدون: العبر، جـ ٣، ص ١١؛ خاشع المعاضيدى، دولة بنى عقيل، ص ٤٣؛ محمد الخفاجى: الخفاجيون أ ص ١٤.

(٤) ابن الأثير: الكامل،جـ ١٠، ص ٣٤٦ .

(٥) ابن خلدون: العبر، جـ ٣، ص ٣١٣ ؛ خاشع المعاضيدى: دولة بنى عقيل، ص ٤٣؛ محمد الخفاجى: الخفاجيون، ص ١٥.

المسترشد عام (٥١٧هـ / ١١٢٣م) - في نهب مدينة البصر ة وإجلاء أهلها عنها[١].

كانت هذه هى أهم القوى العربية المؤثرة في عصر بنى مزيد، ونؤكد أن هذه العشائر العربية لم تكن تحفل كثيراً بقضية المذهب، فلم يكن يختلف عندهم الولاء للعباسيين عن الولاء للفاطميين، إلا بقدر ما يحققون من مصالح من وراء هذه التبعية.

هكذا تشكلت العلاقات السياسية لبنى مزيد منذ الاعتراف الرسمي بإماراتهم، و حتى مصرع أعظم أمرائهم الأمير "صدقة الأول بن منصور "، وقد تجلى من خلال الدراسة لهذه العلاقات تلك السياسة التي اتبعها أمراء بنى مزيد، والتي قامت على أساس الحصول على رضى الخليفة العباسي، ومن تغلب عليه سواء السلاجقة أو البويهيين من قبلهم، في سبيل الحصول على اكبر مكسب ممكن لصالح الإمارة، بالانحناء للعواصف السياسية التي تنشأ، والخروج منها بأقل خسائر ممكنة، ولم يعبأوا بقضية المذهب شأنهم شان معظم القوى الطفيلية التي طفت على سطح الأحداث، في ظل ضعف الخلافة العباسية مثل بنى عقيل وقد اتضح ذلك جلياً من خلال علاقتهم ببني مزيد، و كذلك ببنى مرداس (٤١٥- ٤٧٢ هـ / ١٠٢٤ - ١٠٧٩ م) الذين أسسوا لأنفسهم إمارة في حلب و اتبعت سياسة تشبه سياسة بنى مزيد في علاقاتهم مع الفاطميين، فتراوحت سياستهم بين المسالمة و كسب الود، وبين الصراع المسلح، ثم التحول إلى مولاة العباسيين عندما طغت قوة السلاجقة[٢].

ولم تختلف إمارة بنى عمار (٤٦٢ - ٥٠٢ هـ / ١٠٧٠ - ١١٠٩ م) عن بنى مزيد أو بنى مرداس، فهم أسرة عربية استطاعت انتزاع طرابلس من يد الفاطميين بقيادة القاضي أبى طالب بن عمار، الذي استخدم سياسته وحكمته في الحفاظ على إمارته في ظل حالة عدم الاستقرار التي سادت بلاد الشام في منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، وقد سار خلفاء بن عمار على سياسته، فأخذوا يتنقلون بولائهم ويمالئون القوى الكبرى بالدعاء والمال، حتى إذا جاء الصليبيون قدموا لهم العون حتى يمروا بالمدينة دون التعرض لهم بالأذى، وقيل أن جلال الملك بن عمار تعهد

---

(١) ابن الأثير: الكامل،جـ ١٠، ص ٦١٠.

(٢) أحمد رمضان: المجتمع الإسلامي في بلاد الشام، ص ص ٣٨ – ٤٠.

للصليبيين أنه سوف يسلم لهم طرابلس إذا نجحوا في فتح بيت المقدس[١].

ولم تختلف إمارة بنى منقذ[٢] في شيزر عن الإمارات العربية السابقة، فقد وثبوا على قلعة شيزر عام (٤٤٧هـ / ١٠٨١م) وأخذوا يتوسعون على حساب القوى المحيطة بهم خاصة بنى عقيل وحصلوا على رضاء السلاجقة بتقديم المال، ومع قدوم الصليبيين في عام (٤٩٥هـ / ١٠٩٨م) سارعوا بالتصالح معهم حتى لا يتعرضون لأملاكهم بسوء، كما كسبوا ود حكام دمشق بالأموال ومع اشتداد موجة المقاومة الاسلامية ضد الصليبيين شاركوا فيها حتى لا يتعرضوا لسخط المسلمين[٣].

نخلص من هذا إلى أن جميع الكيانات السياسية الصغيرة أو الطفيلية التي تظهر في ظل ضعف القوى الكبرى تتشابه في سياستها التي تقوم على استخدام كافة الوسائل للمحافظة على بقائها حتى لو وصل الأمر إلى التحالف مع أعداء الأمة العربية والإسلامية وهو ما كان يعجل بنهاية هذه الإمارات، كما عجل بنهاية بني مزيد.

---

(١) أحمد رمضان: المجتمع الإسلامي، ص ص ٤٠ – ٤٤.

(٢) بنى منقذ: هم أسرة عربية ينتمون إلى قبيلة كنانة من كلب، زاد نفوذهم في مطلع القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، في ظل بنى مرداس و تأسست إمارتهم في شيزر عام (٤٧٢ هـ / ١٠٨١ م) واستمر حكمهم لشيزر حتى (٥٥٢هـ / ١١٥٦م) (محمد مرسى الشيخ الإمارات العربية في بلاد الشام، ص ٢٨٢، ٢٩٣، ٣٧١.

(٣) أحمد رمضان: المرجع السابق، ص ص ٤٤ – ٤٨.